ابن البيطار

ودوره فى الحضارة الإسلامية العالمية

تأليف

الدكتور / أبو الوفا عبد الآخر

ابن البيطار
ودوره فى الحضـارة الإسلامية

تأليف
الدكتور / أبو الوفا عبد الآخر

الإهـــداء

إلى الغيورين من علماء الأمة الإسلامية...

إلى المنصفين من علماء الغرب الباحثين فى تاريخ الحضارات

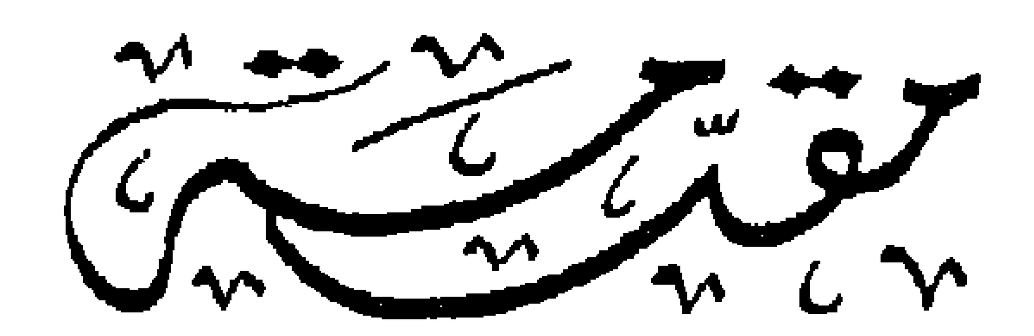
إلى كل محب لمعرفة حقائق التاريخ

إلى أبناء الأمة الإسلامية الراغبين فى معرفة ماضيهم

إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله، وهب الإنسان العقل، وأنعم عليه بالفكر والنظر والعلم[1]، وصلاة الله وسلامه على خاتم رسله وأنبيائه، سيدنا محمد ﷺ الهادى إلى القول النافع والعمل الصالح، والقائل «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة».

أما بعد...

فبفضل الله وعونه وتوفيقه يسير الإنسان عبر الزمان، حاملاً مشاعل المعارف والبيان، وبالدراسات والبحوث والتأمل والاكتشافات، تنشأ العلوم ويرتفع بناؤها، وتظهر الحضارات وتتسع رقعتها فى تتابع مستمر وتواصل دائم. والعلماء ـ على مر العصور ـ هم مصابيح المعرفة التى تبدد ظلمات الجهالة، وتتنوع وتتفاوت جهودهم فى عمليات التشييد العلمى والبناء الحضارى، ومن بينهم يبرز العلماء العظام، والمكتشفون والمخترعون الكبار، الذين يتركون بصماتهم على سجلات التاريخ العلمى وتتحدث الحضارات عن روائع جهودهم، وتصبح أعمالهم الباهرة بمثابة قواعد راسية، تستقر وتعلو عليها كافة الحضارات الإنسانية فى جميع الأزمان والأوطان...

هذا و«ابن البيطار» عالم النبات والصيدلة، هو واحد من خلاصة العلماء الأكابر الذين وصلوا إلى القمة وملكوا زمام الشهرة وتربعوا على عرش الصيدلة واحاطوا

(١) أقصد (العلم) بمفهومه المتسع الذى يشتمل على علوم الدين والدنيا، والكون ـ الطبيعة والفطرة ـ المادى والروحى وأشرفها «علوم الدين وعلوم البدن» كما ورد فى الأثر.

بفنون الدواء، وشهد له بذلك الكثير من المؤرخين مسلمين وغربيين، تقول «زيغريد هونكه» فى كتابها «شمس الله تطلع على الغرب» : «تعددت التجارب فكثرت المواد التى ابتكرها علماء العرب، ولكن ابن البيطار هو أعظم عباقرة العرب فى علم النبات» ـ ويقول عنه [1] محمد عبد الرحمن مرحبا : «والحق أن ابن البيطار كان أعظم عالم نباتى وصيدلانى ظهر فى العصور الوسطى كلها».

ويطيب لى ـ وفاء منى لسلفنا الصالح، أن أكتب موجزاً عن هذا الأستاذ والعالم الكبير : تعريفا بقدره وبيانا لفضله. والكتابة عن الحضارة العربية بعامة والحضارات الإسلامية بخاصة، وعن السلف العظيم من علماء الأمة الإسلامية، تثير فى نفوس الغيورين، لوعة وحسرة، على ما كان عليه المسلمون فى الماضى وما صاروا عليه فى الحاضر، وتولد عند المنصفين عرفانا بفضل الحضارة الإسلامية واعتراف بالدور العظيم للعلماء المسلمين، وتكشف عن الحقيقة التى يحاول أن يخفيها الاعداء وهى أن الإسلام دين عمل وخير وعطاء، كما أنها تقود إلى العبرة من خلال الذكرى، وتشحذ الهمم التى تأتى بعد الفشل، وتدفع إلى الندمة والتوبة عما صدر من تقاعس وتقصير فى خدمة الدين وتحض على العودة إلى العمل الجاد لنصرة الإسلام واعلاء شأنه والتمكين له. حتى يعود كما كان دين العلم والحضارة والاحسان، كما هو دين التوحيد والطهارة والعدل. فالتاريخ دروس وعبر، وسير العظام من العلماء فيه ابراز للقيم وللعطاء... وهذا ما قصدته وأهدف إليه بهذه العجالة المختصرة عن عالمنا الشهير «ابن البيطار» وقد جعلتها فى فصلين هما :

الفصل الأول : الصيدلية عند العرب والمسلمين الأوائل

الفصل الثانى : ترجمة «ابن البيطار»

هذا ويلزمنا التنبيه إلى أمر هام وهو أننا نكتب عن علماء الحضارات الإسلامية

---

(١) كتابة الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب.

فى مـجـال العلوم الكونيـة (الطبـيـعـيـة) كـالطب والصـيـدلـة والرياضـيـات والفلك والفيـزيـاء... الخ، أما عن آرائهم ودراساتهم وفكرهـم فـيما يـعرف بالفلسـفة وعلم الكلام فإن من اشتغلوا بذلك يخضعون لاحكام الشرع.

أسأل الله سـبحانه وتعـالى النفع بما كتبت وأخـر دعوانا الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعـالمين سيدنا مـحمد ﷺ ورضى الله عن آله وصحابته وعلى من عمل بشريعته واقتدى بسنته إلى يوم الدين.

المؤلف

أبو الوفا عبد الآخر

الفصل الأول

الطب والصيدلة عند العرب والمسلمين عبر التاريخ

ـ ١ ـ

الحقيقة التاريخية

يحق لنا ـ مجردين من الهوى والتعصب ـ أن نقرر حقيقة تاريخية هامة وهى «العلاج النباتى بالأعشاب والنباتات الطبية وغيرها بالأضافة إلى فنون الكيمياء والصيدلة والطب جميعها عربية المنشأ إسلامية العلم والتقنية والحضارة». وهذا القول يحتاج إلى توضيح وبيان من خلال خلفية تاريخية تعود بنا إلى عروبة مصر فى التاريخ.. الضاربة فى أعماق الماضى السحيق إلى ما قبل قيام المملكة المتحدة القديمة بمصر[١] بل وإلى قبل ذلك بعشرات القرون فالعروبة فى مصر قديمة قدم الإنسان المصرى الأول الذى قدم من الجزيرة العربية فى بداية احتضان مصر للجنس البشرى وذلك بعد الجنس الحامى وليكون أول نواه بشرية حضارية»[٢].

وقدماء المصريين الأوائل الذين جاءوا من البلاد الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وهم من الجنس العربى، أدخلوا معهم مدنية أرقى من مدنية أبناء الجنس الحامى الذين كانوا يقطنون مصر أنذاك وبهذا يصبح العرب منذ أقدم الأزمنة التاريخية المعروفة ممثلين فى قدماء المصرين هم أقدم من برعوا فى فن التداوى ثم

(١) عروبة مصر فى التاريخ ٧ ـ ١٦.
(٢) عروبة مصر قبل الإسلام ص٩.

أخذ عنهم الأغريق ثم الرومان، وهذا ما نعنيه بالحقيقة التاريخية السابقة الذكر.

ومما يدعمها تاريخيا هو ما أثبته كثير من مشاهير المؤرخين والباحثين فى أصول اللغات القديمة من أن اللغة الهيروغلوفية عربية المنشأ باعتبار أنها ذات أصول عربية فى أكثرها ومعلوم أن اللغة هى حاملة الثقافات والحضارات. وقام المؤرخ والعالم الأثرى الشهير «أحمد كمال باشا» بتصنيف مؤلف هام هو «قاموس للغة المصرية القديمة» فى (٢٢) مجلدا وهو مخطوط لم يطبع إلى الآن ويظهر فيه العلاقة الوثيقة بين المفردات فى العربية القديمة والمصرية القديمة بما يعنى اتحاد المنشأ وأن الثانية ـ وهى الأحدث ـ قد أخذت من الأولى وهى الأقدم ويقول العالم الأثرى الكبير «إن كثرة مطالعتى فى اللغة المصرية القديمة مهدت لى سبيل الوصول إلى اكتشاف غريب مفيد ألا وهو أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد... أن لم يكونا لغة واحدة افترقتا بما دخلهما من القلب والابدال، كما حصل فى اللغات القديمة».

وفى معرض الحديث عن حقبة المملكة المتحدة القديمة الأولى التى تمتد من سنة ٣٢٠٠ إلى ٢٤٧٥ ق.م وينضوى إلى هذه الحقبة الأسر الست المالكة الأولى يقول مؤلف كتاب عروبة مصر فى التاريخ «لقد كان لهذه الأسر مآثر عظيمة... وبلغت فنون الهندسة وصناعة ورق البردى والنسيج.. والعلوم الرياضية والطبية وشأوا غير يسير وكل هذا مما ينبغى أن يعد من مآثر الجنس العربى فى مصر فى ظل الأسر المالكة التى هى منه، وكذلك الجمهور الأعظم من السكان الذين يمتون إليه» ص١٧ ـ ١٨.

وفى معرض الحديث عن عروبة مصر فى التاريخ ننبه إلى أمرين :

الأول : لا نقصد «بالمصرين القدماء» ما تعارف عليه المؤرخون بسكان مصر الفرعونية، فهذه حقبة سكانية متأخرة ولكنى أقصد السكان الذين عاشوا قبل ذلك

بكثير على ضفاف وادى النيل منذ أقدم العصور والذين جاءوا من الجزيرة العربية.

الثانى : عدم الخلط بين العروبة والسامية، فالجنس العربى هو الأصل وهو الاصطلاح الذى يعبر عن سكان الجزيرة العربية وهو أقدم الأجناس بها، أما (السامية) فهو مصطلح حديث ودخيل إلى الاجناس ونحذر من سوء التعبير به، وعلينا أن نعلم جيدا بأن تعبير الساميين هو تعبير حديث اطلقه مستشرق نمساوى فى سنة ١٧٨١ على الاقوام التى عرف تشاركها فى اللغة والتقاليد والتى ذكر سفر التكوين أنها أو بعضها تفرع من سام بن نوح كالآراميين والاشورين والعرب والعبرانيين حسب ما جاء فى السفر المذكور ثم على الاقوام التى عرف تشاركها فى اللغة والتقاليد مع هؤلاء ولم يكونوا من فروع سام كالكنعانيين والسئيين الذين ينسبهم السفر المذكور إلى حام بن نوح وقد تلقف باحثوا الغرب هذا التعبير واخذوا يطلقونه على هذه الاقوام ومنهم تلقفه مؤرخوا العرب المحدثون[1].

ونحن لا نأخذ بمصطلح «السامية» كبديل للجنس العربى وقومه الذين اتوا إلى مصر فى العصور القديمة بناء على كلام المتهافتين على المصطلح ولكننا نحدد جنسهم من خلال لغتهم العربية التى كان لها أكبر الاثر على اللغة الهيروغليفية وكذلك نحدد جنسهم من خلال موطنهم الذى كانوا يعيشون فيه قبل هجرتهم إلى

(١) فى مقال بعنوان «دورنا فى الحضارة الغربية» بقلم دكتورة نعمت أحمد فؤاد بجريدة الأهرام بتاريخ ١٤/٤/١٩٩٩م جاء ما يلى : «لسنا نقله... لقد طنطن العالم الغربى فى عصر النهضة الحديثة كما يقول الدكتور عبد الحليم منتصر فى كتاب (تاريخ العلم) لأراء كانط وديكارت ونيوتن فى الطبيعة والضوء والانكسار وما إلى ذلك وقد ثبت أن أغلبها ماخوذ عن «ابن الهيثم» العالم المصرى وقد عمل الغرب على تغييب الدور الإسلامى (فى الحضارة العالمية) يقول كاربنسكى (إن الخدمات التى أداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين، وأن البحوث الحديثة قد دلت على عظم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم بينما كانت أوربا غارقة فى ظلمات القرون الوسطى) ص ٨٤ تاريخ العلم... وممن انصفوا علماء المسلمين «هو لميارد» ويروى «فرانز دوزنتال» فى كتابه (منهاج العلماء المسلمين فى البحث العلمى) قول «فون كريمر» وهو ينوه بالجهود التى بذلها علماء العرب فى حقل المعرفة التجريبية وتقول المستشرقة الدكتوره «سيجريد هونكة» فى كتابها (شمس الله على الغرب) : إن أوربا تدين للعرب وللحضارة العربية. وإن الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات الاخرى للعرب كبيرا جدا. وكان يجب على أوربا أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا... ويقول الدكتور عبد الحليم منتصر عن أثر العرب فى النهضة الاوربية (وظل العرب قرونا يحملون رسالة العلماء والخبراء والصناع على أرض جنوب فرنسا واسبانيا وجنوب ايطاليا وصقلية) ص ٢٥٥ تاريخ العلم» أ. هـ .

مصر وهو جنوب الجزيرة العربية وهذا ما يقرره المؤرخون عندما يتحدثون عن تكلم الجماعات العربية ومن ذلك قولهم أن الذين ملكوا مصر منذ البدء جماعات هاجروا إليها من الشرق منذ بضعة الوف من السنين قبل التاريخ المسيحى وليس فى مشرق مصر إلا جزيرة العرب من الجنوب ومن الشرق ومنه أيضاً قول الأثرى الكبير سليم حسن «أن مصر كانت مسكونه منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامى... ثم أخذ يدخل على هذا الشعب تغيرات عن طريق الهجرة... وكان أهم هذه العناصر الجديدة التى دخلت البلاد من أصل أسيوى... جاءوا إلى مصر من شبه جزيرة العرب».

وعن شطر الحقيقة التاريخية «إسلامية العلم والتقنية والحضارة فذلك ما سنقوم بتوضيحه فى العرض التاريخى لتطور الصيدلة والطب والكيمياء فى العصور الوسطى».

وبعد... فالمطلوب من كافة الغيورين من علماء الأمة الإسلامية المتخصصة فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ومن المنصفين المشتغلين بدراسة تاريخ العلوم من غير المسلمين أن يقوموا باستجلاء تلك الحقيقة التاريخية خاصة والعالم بعين عصر التعاون الثقافى والتكامل الحضارى، وتزييف التاريخ ومحاولات طمس تاريخ الحضارات الإسلامية التى استمرت ما يزيد على الالف عام منذ افول حضارة الأغريق والرومان إلى ظهور الحضارة الغربية فى القرن السابع عشر والتى قامت بعون من العلماء المسلمين وبالحضارة الإسلامية اقول بأن ذلك التزييف يؤدى إلى الصدام والصراع بين تلك الحضارات والثقافات.

ـ ٢ ـ

التداوى بالوطن العربى القديم قبل الإسلام.

ـ التداوى بمصر القديمة :

برع المصريون القدماء ـ وهم من الجنس العربى كما بينا سابقاً ـ فى فنون الطب والدواء وكان لهم باع طويل فى حقل الدواء بما أولوه من عناية خاصة لدراسة النباتات الطبية من حيث وقت زرعها وقطافها وكيفية تحضير العقاقير منها... الخ.

واشتهر قدماء مصر بصناعة الأدوية على شكل امزجة سائلة وقاموا بتحضيرها من النباتات البرية والمزروعة فى مصر ومن البلاد التى حولها وقد ذهبوا إلى بلاد المشرق والمغرب بحثا عن الاعشاب الطبية. يقول مؤلف كتاب «موجز تاريخ الصيدلة» ولقد كان اهتمام القدماء بالعقاقير عظيماً جدا إذ كانوا على معرفة بكثير منها...» ولقد قاد اهتمام قدماء المصريين فى حقل الدواء إلى ابتكارات كثيرة فى مجالات علم الكيمياء واشتهروا فى علم الأدوية بالدقة والاستنتاجات الصحيحة.

وقادت دراسة البرديات الطبية المصرية القديمة علماء العصر الحديث إلى دراسة موثقة لما قدمه المصريون القدماء وهناك اجماع بين مؤرخى العلوم على أنهم كانوا على علم جيد بالأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية، المفردة منها والمركب وتحمل تلك البرديات الطبية اسماء عشرات العقاقير من أصل نباتى ومن أصل حيواني ومن أصل معدنى لعلاج الأمراض المختلفة التى تصيب العيون، والأنف والأذن والفم والمعدة والأمعاء والكبد والمسالك البولية والعظام وأمراض النساء والأمراض الجلدية... الخ.

ومن المعروف لدى مؤرخى العلوم أن علماء الأغريق استفادوا كثيرا من المعلومات العلمية التى حصلوا عليها من قدماء المصريين والدليل على ذلك أن كثيرا من التعاريف والمصطلحات فى الصيدلة التى كانت تستعمل عند قدماء المصريين

ظهرت فى مؤلف علماء اليونان المشهورين مثل شعر أبقراط وديستوريدى وجاليئوس... وحتى القرن الماضى كانت معظم معلوماتنا الخاصة بالمادة الطبية المصرية القديمة مستفاه مما ورد فى مؤلفات المؤرخين اليونانيين وكما يقول جالينوس فى مكتبه هيكل ايمحوتيب بمنفيس عندما انكبوا على دراسة المؤلفات المحفوظة فيها التى كانت فى متناول الاطباء حتى القرن الثانى ب.م.

وفى نفس هذه المكتبة كان ابقراط قد اطلع قبل ذلك بسبعة قرون على أسرار الطب المصرى ولكن ابتداء من الربع الأخير من القرن الماضى نشرت البرديات الطبية وعثر فى المقابر التى اكتشفت على بقايا من النباتات المصرية القديمة فأصبح من الميسور دراسة الطب المصرى القديم دراسة مباشرة[(١)].

«وهناك ظاهرة عجيبة فى رواد الحضارة اليونانية وهى نقلهم كثيرا من المعلومات التى تلقوها من الأمم السابقة لهم ونسبوها لأنفسهم فظهرت هذه المعلومات وكأنها من أنتاجهم... ولو أن المشهور بين المؤرخين أن اليونان هم واضعوا أسس العلوم والمعرفة إلا أنهم فى الحقيقة أخذوا كثيرا عن المصريين القدماء ونقلوا عنهم ما هو أكثر... ولقد كان بعض علماء اليونان وغيرهم يثبت المعلومات دون ذكر مصدرها فننظر كأنها لهم أنفسهم»[(٢)].

ويقول (سنجر) فى كتابه «علم الأغريق والعلم الحديث» أن علماء اليونان كانوا ينقلون من المصادر الأصلية كعلماء الحضارات السابقة لهم ويعقلون أسماء هؤلاء العلماد مدعين أنها من ابتكارهم العلمى ليس فقط فى علم الصيدلة ولكن فى العلوم الأخرى[(٣)] ومما يؤسف له حقا أن هذه الادعاءات الكاذبة صارت تنقلها الاجيال حتى بقيت جزءا من إنتاج علماء الاغريق ومن العجيب أن التاريخ يكرر نفسه

---

(١) لسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ٨١، ٨٢.

(٢) المرجع السابق ١٠٩.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩.

منذ العصور الوسطى وبداية الحضارة الغربية عندما قام علماء أوربا بالاطلاع على أعمال علماء الحضارة الإسلامية والاستفادة من جهودهم فى كافة العلوم والسطو عليها باغفال أصحابها الاصلين من العلماء المسلمين وقام مؤرخون الغرب بنسبتها إلى علمائهم[1] بل أن الانتحال والتزييف للتاريخ العربى للعلوم لم يكن عملا فرديا من جانب افراد قلائل من علماء مؤرخى الغرب بل أنه صادر عملا جماعيا خطط له الحكام والساسة الأوربيون ضمن ما يعرف تاريخيا بالحروب الصليبية وقام بتنفيذه مفكرو الغرب ومؤرخوه وكتابه ضمن ما يعرف بصراع الحضارات والثقافات ولقد قيض الله سبحانه وتعالى لسحب التضليل أن تنقشع واراد لنور الحق أن يسطع ويعلو كما قال سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾ [سورة الصف]، فهدى انصار الحقيقة والانصاف بالغرب حكاما وساسة ومؤرخين ومفكرين وعلماء، فأخذوا يتحدثون عن الإسلام وحضاراته التى انارت أوربا فى العصور الوسطى، ومهدت للحضارة المعاصرة، وأخذوا يشيدون بفضل علماء الحضارة الإسلامية وبجهودهم العلمية واكتشافاتهم وبحوثهم الرائعة على مدى الف عام أو أكثر.

التداوى بالجزيرة العربية قبل الإسلام:

لم يتعد التداوى بالجزيرة العربية آنذاك دوره الحرفى لتلبية الحاجات دون أن يصل إلى مرحلة العلم والمستوى الحضارى كالذى كان بمصر أو باليونان

(١) كاعمال ابن الهيثم فى البصريات والرياضيات وابن النفيس فى الدورة الدموية.. الخ وتاريخ العلوم الغربية ملىء بالمغالطات والانتحالات. ويذكر «س. ريلر» فى كتابه «الحضارة العربية» أن علماء العرب أول من استخدموا عفن الخبز والشعب الفطرى في أدويتهم لعلاج الجروح المتعفنة. ولذا يجب أن ينسب إليهم دواء مبيد الجراثيم Antibiotic. ومن المؤسف حقا أن نرى علماء الغرب يحاولون سلب هذا الحق من علماء العرب والمسلمين وينسبونه لعالمين فرنسيين هما «لويس باستى» و «جوليس جوبرت» اللذين عاشا فى القرن التاسع عشر وهذا قول لواحد من مؤرخى الغرب المنصفين.

وغيرهما من البلدان المتحضرة. وكان حظ الجزيرة العربية فى سائر العلوم ـ بصفة عامة ـ قليلا، وكان دورها الحضارى ضئيل رغم الثراء الذى كان بمكة والمدينة من التجارة، ومن الحجيج، اللهم إلا ما كان يوجد من تسرب حضارى بأطراف الجزيرة المتاخمة لدولة الفرس ودولة الرومان. وظلت الجزيرة العربية على حالها مشغولة بتجارة العطور والبخور والأرزاق إلى فجر الإسلام، وكأن الله سبحانه وتعالى قد أدخرها حضاريا لتصبح حينئذ مبعثا لأسمى عقيدة ومنطلقا لأعظم دين، ومركزا لأضخم ثقافة ومصدرا لأقوى سياسة وحكم، ونواة لأطول حضارة استمرت ما يزيد على الألف عام وهى الحضارة الإسلامية ويكفيها فخرا ـ فى ظل الإسلام ـ أن تكون مولدا لتلك الحضارة التى سطعت على العالم أجمع فى العصور الوسطى، كما شاركت من قبل بأبنائها من المصريين العرب منذ فجر التاريخ فى بناء أعرق حضارة وهى حضارة مصر القديمة التى يطلقون عليها تجاوزا (الحضارة الفرعونية) وبهذا يغمطونها ويضعونها فى حقبة تاريخية ضيقة وأقل عراقة وعمقا فى التاريخ الإنسانى.

ـ ٣ ـ

الطب والصيدلة بالوطن الإسلامى

عمت الحضارة الإسلامية بعقائدها وروحانياتها وتشريعاتها وأخلاقياتها وبعلومها وفنونها واكتشافاتها واختراعاتها كافة الوطن الإسلامى كما أشرقت على ارجاء العالم غير الإسلامى وعلى أوربا بصفة خاصة(١) وقامت المؤسسات التعليمية ومراكز البحوث والدراسات كمنارات للعلم بقسمية الدينى والدنيوى وفى كل فروع المعرفة وكافة أمور الحياة. وقامت الحضارة الإسلامية فى ظل دين يدعو إلى العلم ويرفع من قدر العلماء وشارك فى بناء صرح هذه الحضارة العصماء جمهره من عباقرة العلماء فى جميع التخصصات العلمية وعلى طول امتدادها الزمنى والتاريخى وكانوا على أعلى درجات العلم والعطاء وهم يستحقون بمقاييس التقدير المعاصر أعظم الجوائز ولو كانت ارفع من جائزة نوبل الشهيرة إذا ما قيست جهودهم وأعمالهم العلمية بالنسبة إلى مستوى العلوم وحجمها أنذاك وكان من الممكن والمتيقن للحضارة الإسلامية أن تزداد نموا وازدهارا وأن تواصل مسيرتها وتستمر جنبا إلى جنب مع النهضة الأوربية الحديثة لولا تفريط أصحابها فيها بعد أن تباعدوا عن تعاليم الإسلام ولولا العداء البغيض والهجمات الشرسة لخصوم الإسلام على أوطان المسلمين وتدمير كل ما بها من عناصر البناء الحضارى [الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية] باسم التحديث والتقدم والمدنية.

بعض الإنجازات الأساسية التى قام بها علماء الطب والصيدلة المسلمون :

يكفينا الاشارة العابرة إلى بعض الإنجازات الصيدلية خلال فترة الحضارة الإسلامية

---

(١) انظر بعض ما كتبته الغربيون انفسهم بهذا الخصوص كما جاء فى : «تاريخ الحضارة الإسلامية «فاسيلى بارتولدو» تاريخ العلوم من القديم إلى ١٤٠٥م وفى تانون الحضارة العربية «س.ريسلر» العلوم الأنسانية «جورج سارتو تراث الإسلام» «شاخت وبوزورت «مآثر العرب فى النهضة الغربية» (أم لان شمس الله تسطع على الغرب «زيفريد هونكه... وانظر ما كتبه العلماء المسلمون وما يكتبه الغربيون فى الوقت الحاضر).

وذلك فيمايلى :

١ ـ قام العلماء المسلمون بفصل «مهنة تشخيص الداء عن مهنة تجهيز الدواء» وبذلك انفصل الطب عن الصيدلة وأصبح للأطباء اختصاص ومسئولية وللصيادلة اختصاص ومسئولية ولم يكن ذلك بالأمر السهل بل هو تنظيم مهنى يتسم بالحسم وهو على مستوى علمى حضارى عالى القدر ونتج عن ذلك استقلال علم الصيدلة وما ترتب عليه من نشاط علمى فى البحث والدراسة وصناعة الدواء...

فعلماء المسلمين هم أول من انشأ الصيدليات الخاصة وأول من أسس مدرسة لدراسة الصيدلة وتخريج متخصيصين فى هذا المجال[١] وهم بذلك أول من فصل الصيدلة عن الطب وسبقوا أوربا بذلك عدة قرون.

٢ ـ أهتم علماء المسلمين بتحضير الأدوية المفردة والمركبة وبرعوا فى ذلك على أعلى مستوى تقنى ويقول أنور الرفاعى فى كتابه «تاريخ العلوم فى الإسلام» : وقد وضع لطريقة تحضير الأقراباذين (الأدوية المركبة) كتب فيها القواعد الأساسية لهذه العملية دعيت (بالدستور البيمارستانى) أى بدستور المستشفيات.

وابتكروا الكثير من المستحضرات الطبية والأشكال الصيدلانية مثل :

المعاجين المختلفة والمراهم والدهانات والحقنة الملينة والضماد واللزقات وتغليف الحبوب بالذهب والفضة (ابن سينا) والأقراص بالكبس فى قوالب خاصة (الزهراوى) ومن العمليات الصيدلانية ابتكروا التقطير والترشيح والتكليس والتبخير والتبلور»[٢] وهذه وغيرها من العمليات

(١) اسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ١٣٨.
(٢) المرجع السابق ص ١٣٤.

المخبرية التى ابتدعها علماء المسلمون جاءت فى كتب تاريخ الصيدلة[1].

ومما سبق ترى المستوى العالى الذى وصلت إليه الحضارة الإسلامية فى مجال التقنيات الصيدلية وتجهيز الدواء لذا يجب أن يعترف الجميع بأن علماء المسلمين هم الذين ارسو قواعد علم الصيدلة الحديثة وتقنيات صناعة الدواء المعاصرة.

٣ ـ كان لعلماء المسلمين السبق فى تجربة الأدوية على الحيوانات، وعلى الانسان لمعرفة تأثيرها والتأكد من سلامتها، ومثل هذه التجارب التى اجروها ودونوها استفاد منها علماء الغرب خلال عصر النهضة الاوربية، ويقول : «محمود الحاج قاسم محمد) فى كتابه (الموجز لما اضافة العرب فى الطب والعلوم المتعلقة به) : «يمكن اعتبار قيام الأطباء والصيادلة العرب بتجربة العلاجات على الحيوانات قبل استعمالها على الإنسان وكذلك دراسة تأثير العقاقير على الإنسان، من ابرز المعالم التى تشير إلى العبقرية العلمية التى كانوا يتحلون بها فى تلك الحقبة التاريخية».

٤ ـ اهتم علماء المسلمين بدراسة الكيمياء وتميزوا فيها، وأعطى تفوقهم فى هذا العلم، امتيازهم فى علم الصيدلة وفى علم الأقربازين ـ فن تركيب الأدوية ـ ويقول «جلال مظهر» فى كتابه «حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العلمى» : «وكان نبوغ العرب فى الكيمياء سببا فى تمكنهم من تحقيق انجازات هامة فى فروع المعرفة المتصلة بهذا العلم، فظهرت فيما بعد الأدوية الكيمياوية بصورة فعالة، وانفتحت أبواب عصر جديد فى فن العلاج على مصاريعها».

(١) انظر كتاب (موجز تاريخ الصيدلة) تاليف عبد العظيم حفنى صابر وآخرين وجاء به الكثير عن ابتكارات علماء المسلمين فى مجال الصيدلة والكيمياء.

٥ـ لقد أولى علماء المسلمين موضوع الأعشاب والنباتات الطبية عناية تامة، واخضعوها لدراسات علمية دقيقة ومتقدمة سوف نذكرها بالتفصيل فى (الفصل الثانى) عند الحديث عن ابن البيطار.

هذا... وبعد الاستعراض المختصر لبعض انجازات علماء المسلمين فى حقل الطب والصيدلة نستطيع القول بكل أمانة «إن العلماء المسلمين نهضوا بالطب نهضة كبرى على مدى قرون الحضارة الإسلامية ونقلوها من مرحلة العطارة وفن العشابين والاجتهادات التراثية عند الإغريق والرومان والهنود وغيرهم إلى علم له منهج علمى وله أسسه وقواعده وله صناعته وتقنياته، ولهذا يحق لنا القول بأن علم الصيدلة هو علم إسلامى بحت، اسما ومعنى وشكلا وموضوعاً، وهذا ما قصدناه بما ورد (بالحقيقة التاريخية) المذكورة بالفصل الأول ص ٤ وهو «إسلامية العلم والتقنية والحضارة» وذلك باعتبار أن علماء المسلمين وعلى مدى الحضارة الإسلامية هم الذين نقلوا العطارة وجعلوها علما ارسو قواعده، وفنا ابتكروا تقنياته، ووصلت الصيدلة والكيمياء إلى علماء الغرب فى بداية النهضة الاوربية علوما ناضجة وأبحاثا واكتشافات وافرة.

طائفة من علماء الطب والصيدلة والكيمياء المسلمين:

نكتفى بالإشارة إلى بعض شوامخ هؤلاء العلماء الذين اسهموا فى بناء الحضارة الإسلامية فى حقول الصيدلة والكيمياء والطب.

- ١ -

جابر بن حيان

من أعظم الكيميائيين على المستوى العالمى، قام بأبحاث ودراسات كيميائية وصمم أدوات معملية كانت بمثابة نقلة علمية وتقنية، وهو الذى اخترع الأفران المعملية والموازين الحساسة والأدوات الزجاجية المخبرية. وكان الملهم لمن جاء بعده من علماء المسلمين وغيرهم فى ميدان الكيمياء، ومن أشهر هؤلاء أبو بكر الرازى الذى كانت له إضافات كثيرة.

- ٢ -

أبو بكر الرازى (٢٥٠-٣٢٠هـ) (٨٦٤-٩٣٢م)

«برع فى الطب والصيدلة والكيمياء، وصمم أجهزة وأدوات معملية معقدة التركيب، بعضها زجاجى وبعضها معدنى، ولا يخفى ما لهذه الأجهزة من قيمة علمية وأهمية فى مجال البحوث الصيدلانية، أهتم (بعملية التقطير) التى تعتبر ذات أهمية بالغة وأثر عظيم فى تقدم علوم الصيدلة والكيمياء. ونقل الاوربيون (عملية التقطير) عن العلماء المسلمين واعتبروها آنذاك من أعظم التقنيات المتقدمة التى نقلوها عن الحضارة الإسلامية وسجلوا ذلك فى مراجعهم العلمية فى الكيمياء»(١). ويعده كثير من المؤرخين من أعظم أطباء القرون الوسطى حتى اطلقوا عليه (أبو الطب العربى) وينسب إليه اختراع الفتيلة فى الجراحة التى كان ولايزال لها مكانة مهمة فى الجراحة... وخليق بنا أن نصف الرازى بأنه طبيب العصور كلها لأن طريقته فى علاج مرضاه تتفق تماما مع الطريقة المتبعة الآن فعلى سبيل المثال كان الرازى يستفيد من

(١) أعداد الباحث المبتكر - أبو الوفا عبد الآخر.

دلالات تحليل الدم والبول ـ بإمكانيات عصره ـ ويستخدم قياس النبض للتشخيص، كما برع فى الطب الاكلينيكى وذهب كثير من مؤرخى العلوم فى العالم إلى أن الرازى هو مؤسس «علم الصيدلة» وذلك بإمكانه فصل علم الصيدلة عن علم الطب(١).

ويقول «جورج سارتون» في كتاب المدخل إلي تاريخ العلوم : «والرازى بدون شك أعظم طبيب انجبته الحضارة الإسلامية» وهناك اجماع بين مؤرخى العلوم أن الرازى يعتبر حجة الطب فى أوربا حتى مطلع القرن الحادى عشرا للهجرة (السابع عشر الميلادى)، ويقول «جورج سارتون» فى كتابه «العلوم القديمة وعلم القرون الوسطى خلال نهضة ١٤٥٠ ـ ١٦٠٠م»، حاول كثير من العلماء فى العالم ومازالوا يحاولون طمس اسم أبى بكر الرازى ومحوه من ميدان الطب، ولكن هذا مستحيل مادام فن الطب باقيا وآخذا فى التطور.

ويقول عنه المؤلف المشهور «رام لاندو» فى كتابه «مآثر العرب فى النهضة الغربية» : إن الرازى هو أول شخص مرض الحصبة والجدرى، فهو علامة عصره وكل العصور، فقد ألف موسوعة طبية تفوق جميع مؤلفات السابقين واللاحقين، كما ظل حجة الطب فى الغرب والشرق حتى القرن السابع عشر الميلادى دون منازع.

ويعد الرازى من عمالقة علماء الكيمياء، وقضى فى دراسة هذا العلم مدة من الزمن، فكان المسلمون والاوربيون يعتبرونه مؤسس الكيمياء الحديثة ـ كما ألف كتبا كثيرة فى هذا المضمار ـ وكتاب «سر الأسرار» فى الكيمياء بقى مرجعا فى أوربا لعدة قرون، بل كان هذا الكتاب أساس علم الكيمياء فى أوربا... وكان له السبق فى تحضير وتمييز كيثر من المواد(٢).

---

(١) اسهام علماء الغرب والمسلمين فى الصيدلة : ص ١٨٦ ، ١٨٧.
(٢) المرجع السابق ص٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨.

ومن انجازاته الرائعة:

- حضر بعض الأحماض ومن أهمها (حمض الكبريتيك) بتقطير «الزاج الأخضر».

- قاس الوزن النوعى لعدد من السوائل مستخدما ميزانا خاصا سماه (الميزان الطبيعى).

- قام بعمليات كثيرة وهامة : التسامى والتصعيد، والتبلور، الملغمة (مزج المعادن بالزئبق)، التشميع[1]... الخ واستعمل املاحا كثيرة فى صهر المواد العضوية.

- ترك عددا كبيرا من المؤلفات فى شتى العلوم قام ابو الريحان البيرونى بحصرها والف كتابا سماه «رسالة للبيرونى فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى» اعتنى بتصحيحها ونشرها «ب. كراوس» سنة ١٩٣٦م. وقاربت مؤلفاته على ١٨٠ كتاباً فى شتى العلوم :

فى الطب والصيدلة (٥٦ كتابا) ـ فى الطبيعيات (٣٢ كتابا) فى المنطقيات (٧كتب) فى الرياضيات والنجوميات (١٠ كتب) فى التفاسير والتلاخيص والاختصارات (٧ كتب) فلسفة وتخمينات (١٦ كتابا) ما فوق الطبيعة (٦ كتب) الالهيات (١٤ كتابا) كيمائيات (٢١ كتابا) الكفريات (٢ كتاب) فنون شتى (٩ كتب) ونختتم حديثنا عن الرازى بما قاله قدرى حافظ طوقان فى كتابه «تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك» ، «ألف الرازى كتبا قيمة فى الطب، وقد احدث بعضها أثرا كبيرا فى تقدمه. وقد امتازت بما تجمعه من علوم اليونان والهنود إلى آرائه وبحوثه

(١) تتلخص هذه العملية كيماويا بإضافة مواد تساعد على انصهار المواد الأخرى، فمثلا عند إضافة كربونات الصوديوم إلى الرمكل يسهل انصهار الأخير وتتم عملية صنع الزجاج.

المبتكرة، وملاحظات تدل على النبوغ، كما تمتاز بالأمانة العلمية إذ نسب لكل شيء نقله إلى قائله وأرجعه إلى مصدره». وهو بذلك لم يقف عند الاطلاع والتبحر فى انتاج علماء اليونان والفرس والهنود، بل انتج، وكان منتجا إلى أبعد حدود الانتاج يتضح ذلك من مؤلفاته العديدة التى أشرنا إليها آنفا.

- ٣ -

الزهراوى (٣٢٤ـ٤٠٣ هـ) (٩٣٦ـ١٠١٣م)

هو خلف بن عباس الزهراوى الأندلسى، كان له باع كبير فى الجراحة والصيدلة، ألف كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» وهو موسوعة فى الطب والصيدلة... ترجم كتابه إلى اللغة اللاتينية وظل كتابا منهجياً فى الشرق والغرب عدة قرون.

- ٤ -

ابن سينا (٣٧١ـ٤٢٨ هـ) (٩٨٠ـ١٠٣٦ م)

هو أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا. كان معاصرا للبيرونى وابن الهيثم حصل على القاب كثيرة فى ريعان شبابه، ومنها : الشيخ الرئيس، وأمير الأطباء.

يقول عنه «كارل بوير» فى كتاب (تاريخ الرياضيات)، «إن الحضارة الإسلامية انتجت عمالقة فى العلوم كلها، ولكن ابن سينا يعتبر حالة خاصة فهو العالم الذى اكتسب علوم اليونان واستوعبها وشرع بعد ذلك فى الابتكارات العلمية الجليلة». وكانت مؤلفاته فى الطب المصباح الذى أوقدت منه أوربا قناديلها فى القرون

الوسطى، وظلت مؤلفاته مع مؤلفات الرازى والزهراوى ـ باعتبارهم أطباء القمة المسلمين ـ تدرس فى الجامعات الأوربية حتى أواخر القرن السابع عشر، ولم يكد «جوتنبرج» يخترع آلة الطباعة سنة ١٤٤٥ حتى طبعت بها الترجمة اللاتينية وأعيد طبعها عدة مرات وبعدة لغات ويقول «جابر الشكرى» فى كتابه (الكيمياء عند العرب) : «ونود أن نضيف إلى كيمياء ابن سينا، إنجازاته فى حقل العطاريات والعقاقير الطبية والاقربازين، لقد درس هذه المواد دراسة وافية من النواحى العلاجية واستخلص الأدوية الكيمياوية من مصادرها الطبيعية استخلاصا تكاد تكون فيه من النقاوة ما تضاهى تلك التى تجرى فى المختبرات الحديثة. وقد خص جزءاً كاملا من كتاب (القانون) فى دراسة واستعمالات هذه العقاقير، وأصبحت دراساته مرجعا مهما للصيادلة فيما بعد وعلى رأسهم عالم الصيدلة الماهر «ابن البيطار». إن أعمال ابن سينا فى العقاقير الطبية كانت أساسا متينا فى وضع علم (العقاقير والصيدلة) وهذا العلم ـ كما هو معروف ـ من أهم المواضيع فى الكيمياء والطب على حد سواء».

ويقول جورج سارتون فى كتابة (المدخل إلى تاريخ العلم) : إن أبا على بن سينا يمثل القمة التى بلغتها الحضارة الإسلامية فى الطب، وبقيت مؤلفاته متداولة فى جميع انحاء أوربا حتى عصر النهضة الأوربية.

ـ ٥ ـ

البيرونى (٣٦٢ـ٤٤٣هـ) (٩٧٣ـ١٠٥١م)

أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى، برع فى الكيمياء وتوصل إلى تقدير «الوزن الجزيئى» للعناصر بدقة متناهية وذلك مجهود علمي عظيم يعرف قيمته علماء الكيمياء والفيزياء... وبرز فى الفيزياء والطب والرياضيات ولمع بين علماء المشرق والمغرب حتى اعتبر من واضعى الأسس لعلم حساب المثلثات.

يقول ادوار ساخاو «إن البيرونى أعظم عقلية عرفها التاريخ وله إلمام شامل بالمعارف العامة وتضلع فى الرياضيات والتاريخ».

ويقول الأمريكى (اربوبول) : «إن اسم البيرونى ينبغى أن يحتل مكانة رفيعة فى أية قائمة لأكابر العلماء... ومحال أن يكتمل أى بحث للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم الإنسان أو المعادن دون الاقرار بمساهمته العظيمة فى كل من تلك العلوم».

ويقول (كرلو نللينو) فى كتابه «علم الفلك ـ تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى» إن البيرونى أعظم المبتكرين والمبتدعين، وأكبر المفكرين المتضلعين وأشهر الباحثين والمؤلفين فى العلوم الفلكية والرياضية والطبيعة بين علماء العرب والمسلمين، وكتابه النفيس المعروف (بالقانون السعودى) منقطع النظير لأنه جامع شامل غزير المادة، دقيق المباحث، يدل على نبوغ وعبقرية وذكاء خارق.

ويقول (جورج سارتون) فى كتابه « المدخل إلى تاريخ العلوم» : «كان البيرونى باحثا وفيلسوفا ورياضيا وجغرافيا، وعالما من أصحاب الثقافة الواسعة، بل إنه من أعظم عظماء الإسلام، ومن أكبر علماء العالم».

ويقول المؤرخ المعروف (ديفيد يوجين سميث) فى كتابه «تاريخ الرياضيات» :

«إن البيروني كان ألمع علماء عصره في الرياضيات، وأن الغربيين مدينون له بمعلوماتهم».

يقول الدكتور (كارل بوير) في كتابه «تاريخ الرياضيات» : إن البيروني ليس عالما رياضيا فحسب، بل هو عالم فيزيائي أيضا، كما أنه بلا أدنى ريب أول مفكر في علم الجاذبية... ومع مراعاة جميع الاعتبارات نقول أن البيروني اشتهر في علم المثلثات وفي نظرية الجاذبية، بينما دان علم الفيزياء لابن الهيثم والحديث عن البيروني يطول، وتجد اخباره منشورة في كثير من المؤلفات الخاصة بتاريخ العلوم.

- ٦ -

ابن باجه (٤٩٩-٥٣٣هـ)

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المشهور (بابن باجه). ولقد كان «ابن باجه» من كبار علماء العرب والمسلمين في العلوم البحته، ولكنه انصرف بعد ذلك إلى العلوم العملية مثل الطب والصيدلة، لذا نرى حساده كثروا وصارو يحاولون القضاء عليه... ويقول «جمال الدين القفطي» في كتاب «تاريخ الحكماء» : «إن ابن باجه عالم لعلوم الأوائل... وله تصانيف في الرياضيات والمنطق والهندسة فحسده منافسوه ودسوا له السم فمات سنة ٥٣٣هـ».

ويقول «الدوميلي» في كتابه «العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي»: «ابن باجه فيلسوف أثر تأثيرا عميقا في تفكير «ابن رشد» من المسلمين «والبرت الكبير» من النصارى، ولكنه اشتغل أيضا بعلم الفلك حيث نقد على الخصوص نظام بطليموس، وعن كذلك بالطب والصيدلة والهندسة... وشخصية ابن باجه العالم مشهورة شهرة فائقة، وإنها لإحدى الأماني حقا أن يشرع أحد العلماء في

عمل دراسة دقيقه له».

لقد كان بن باجه مدرسة تأثر بها الشرق والغرب على السواء، فلقد تتلمذ له كبار علماء الغرب فى جميع فروع المعرفة ومن بينها الرياضيات والفلك والطب والصيدلة... وله أثر كبير فى الغرب النصراني، وتأثر به علماء اشتغلوا فى الفلك والرياضيات والطب والصيدلة.. كما وضع كثيرا من المؤلفات فى المنطق والطب والصيدلة والهندسة والنبات والفلك والنفس والعقل وغيرها، وتعاظم ابن باجه بين علماء العرب المسلمين البارزين الذين اسهموا فى تطوير حضارة عربية إسلامية لخدمة الإنسانية أجمع. ومما يؤسف له أن معظم انتاج ابن باجه الفكرى ضاع، ولم يبق منه إلا شذرات قليلة توجد فى رسائل وصفحات مترجمة إلى اللاتينية أو العبرية رغم أنها مؤلفات كثيرة أشار إلى بعضها «ابن أبى أصيبعة» فى كتاب «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» (اسهام علماءِ العرب والمسلمين فى الصيدلة حتى ٣٤٨ ، ٣٥٢).

ـ ٧ ـ

ابن البيطار

هو عالـم النبات والصيدلة الشهير، تميز بأسلوبه التجريبى ومنهجه العلمى، وصحح أخطاء من سبقوه من علماء اليونان، وسوف نترجم له بالتفصيل فى الفصل الثانى بمشيئة الله.

ولا ننسى عند ذكر هذا البيان المختصر عن بعض مشاهير العلماء المسلمين فى عصر النهضة الإسلامية أن نشير إلى عباقرة آخرين مثل : ابن الطبرى وابن الهيثم، والماردين، والتميمى، والغافقى، وابن الجزار، والادريسى وداواد الانطاكى... هذا إلى جانب المئات من مشاهير العلماء المسلمين الذين بنوا الحضارة الإسلامية فى القرون الوسطى، وساهموا فى قيام الحضارة الأوربية الحديثة، وللتعرف باستقصاء على علماء المسلمين يحتاج الأمر إلى مطالعة مئات المؤلفات المطبوعة والمخطوطة بالعربية وباللغات الاجنبية. ونلحق بالفصل الأول قائمة ببعض الكتب التى تتناول تاريخ العلوم والحضارة واسهام علماء المسلمين فى حقل الطب والصيدلة والفلك والرياضيات والكيمياء والفلسفة... الخ.

كما أن الأمر يتطلب بشدة وعلى وجه السرعة إعادة تدوين تاريخ العلوم والحضارات خاصة الجزء الإسلامى بالقرون الوسطى، وهذه مسئولية كبرى تقع على عاتق الدول الإسلامية بالتعاون مع الدول العربية الحريصة على تصحيح التاريخ وتنقيته من الشوائب وإظهار الحقائق والتخلص من الأباطيل، خاصة ونحن فى عصر المطالبة بالوفاق العلمى وتلاقى الثقافات وتكامل الحضارات وذلك لإعداد طريق مستقيم يسير عليه الفكر الإنسانى، وحتى يمكن تحسين صورة الإسلام لدى الغرب، وتصويب الافكار لإنجاح الحوار الإسلامى الغربى المطروح على الساحة الدولية.

ـ ٤ ـ

الطب النبوى منهاج للعلاج المتكامل (١)

ونجعل الحديث عن (الطب النبوى) مسك الختام للفصل الأول... ونقدمه باختصار شديد فيمايلى :

(الطب النبوى) : هو ما ثبت عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فى مجال الصحة والعلاج وفى مجال الأغذية، بدليل من الأحاديث النبوية الصحيحة، أو التى يصح العمل بها فى فضائل الأعمال.

ونحن لا نعنى به منهجا علميا كمناهج العلوم التعليمية، ولكننا نعنى به هديا نبوياً فى الطب واجب الاتباع. وهو يحمل حقائق علمية فى حاجة إلى الإظهار والبيان حسب الدراسات العلمية المنهجية فهو طب قائم على الحقائق لأن النبى عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى فى كل أقواله وأفعاله، وعلينا أن نأخذ به إيمانا واعتقادا، ونتيقن منه بحثا وتجريبا. كما قال «إبراهيم الخليل» عليه السلام لربه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي . . . (٢٦٠)﴾ [سورة البقرة] والطب النبوى هو دستور الطب الإسلامى الذى هو حصيلة اجتهادات ودراسات وتجارب وانجازات وممارسات المتخصصين فى علوم الطب والصيدلة حسب التعاليم الإسلامية، وكان لتوجيهاته ووصاياه عليه الصلاة والسلام بضرورة المحافظة على الصحة وعلى التداوى أكبر الأثر فى انتشار الوعى الصحى واهتمام المسلمين بالعلوم الطبية وممارسة التطبيب والتداوى وهو

(١) من بحث مقدم إلى المؤتمر العالمى للطب الإسلامى باندونيسيا ١٩٩٤م.

القائل عليه الصلاة والسلام : «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام» (أخرجه أبو داود)، وقال صلوات الله وسلامه عليه «إن لكل داء دواء ـ فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله» (أخرجه مسلم) بهذه الأحاديث النبوية وغيرها وبالتوجيه والهدى النبوى ـ تحمس علماء المسلمين واتجهوا وتسابقوا للبحث فى الأمراض وعلاجها، واهتموا باتقان علوم الطب والصيدلة وفنونها، وبرعوا مبكرين فى هذا المجال فى بداية الحضارة الإسلامية. وكيف لا ومشاهير الفقهاء والأئمة أشادوا بفضل هذه العلوم فمما ينسب إلى الامام الشافعى قوله «لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب».

خصائص الطب النبوى:

١ـ **طب إيمانى:** ويتمثل فى الاعتقاد بأن المرض والشفاء، أمور تجرى على الانسان بقضاء الله وقدره. لذا فالمسلم يتطلع إلى الشفاء من الله مع أخذه بأسباب العلاج وفى مقدمتها الاستشفاء بالدعاء والرقية بالقرآن الكريم.

٢ـ **طب كلى:** ويتمثل فى النظرة إلى الجسد نظرة كلية باعتباره وحدة واحدة مترابطة، ويفهم ذلك من الحديث النبوى الذى يأتى فى معرض ضرب الأمثال التربوية، ولكنه يحمل فى طياته حقائق علمية، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه)... وبهذا يكون (الطب النبوى) من أنظمة الطب الكلى التى تتعامل مع الجسد باعتباره وحدة مترابطة، ومعنى ذلك أن المرض الذى يظهر فى موضع ما بالجسد، هو نتيجة اختلال فى الجسد

كله، ويتجلى في العضو المريض باعتباره نقطة الضعف البارزة في الجسم. وهذا ما يتجه إليه الطب الحديث من خلال أنظمة الطب الكلي.

٣- **نظام طبى متكامل العلاج:** ويتمثل ذلك فى استخدام كافة الأساليب العلاجية ومنها : العلاج الدوائى، العلاج الطبيعى، العلاج الغذائى، العلاج الروحانى، العلاج الجراحى، العلاج بالطاقات الجسدية (ممثلاً فى الكى، والحجامة الجافة... الخ). وبذلك يكون للطب النبوى فضل التكامل العلاجي باستعمال كافة الاساليب العلاجية واشتماله على عدة أنظمة علاجية مما يجعله متفوقا على المنهج العلاجى فى الطب الغربى.

٤- **طب وقائى:** والطب النبوى حريص على اتباع كل ما يقع تحت مسمى (الصحة الوقائية) وبه من الارشادات الصحية ما يفوق الحصر وما لا يوجد فى الأنظمة الطبية الأخرى وعلى سبيل المثال : نظافة البدن، والوضوء، وتقليم الأظافر، حلق شعر العانة والإبط، السواك وغسل اليدين قبل تناول الطعام، والحجر الصحى... الخ.

٥- **طب شرعى وأخلاقى وإنسانى:** تحكم الطب النبوى تشريعات وتعاليم مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية. فهناك الحلال والحرام، وهناك الطيب والخبيث وهناك الإنسانى واللا إنسانى، وترى ذلك واضحا فى النهى عن التَداَوِى بالمسكرات والنجاسات، وفى احترام جسد الإنسان حيا وميتا، وفى المطالبة باتباع سنن الفطرة.

وبعد فهذه نبذة مختصرة عن (الطب النبوى)، الذى يضع لنا منهجا للعلاج المتكامل، والذى كان له الفضل فى التوعية الصحية عند المسلمين الأوائل وحرصهم على سلامة أبدانهم والتداوى من الأمراض، كما كان له الفضل فى اقبال علماء المسلمين على دراسة علوم الطب والصيدلة حتى اتقنوها ووصلوا بها إلى أعلى

المستويات وصاروا فيها روادا وعباقرة والشاهد على ذلك ما تركوه من تراث علمى وما سجله التاريخ الأمين عن الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى فهل لنا أن نتخذ من (الطب النبوى) دستورا طبيا، ينطلق منه العلماء والباحثون المتخصصون إلى حقول الدراسة والتجربة والتقنية والتطبيق، وحتى يمكن بجهودهم المخلصة إيجاد (نظام طبى إسلامى ونظام علاجى متكامل).

قائمة كتب

قائمة ببعض الكتب المفيدة فى التعرف على الحضارة الإسلامية وعلى بعض العلماء المسلمين الذين ساهموا فى بنائها خاصة فى حقول الطب والصيدلة والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم البحثية والتطبيقية.

ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء

صاعد بن أحمد الأندلسى: طبقات الأمم

الشريف الإدريسى: الجامع لصفات أشتات النبات

الشريف الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق

العماد الأصبهانى: الخريدة

الدومييلى: العلم عند العرب وأثره فى تطوير العلم العالمى

أوسل: تاريخ افيلبسيا من عصر اليونان إلى ظهور دراسة الجهاز الحديث

وليم أوسلر: تطور الطب

محمد زهير البابا: تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة

أوتو باتمان وفيليب هنش: تاريخ الطب المصور بالألوان

فاسيلى بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية

أ.ج براون: الطب العربى

برنارديس: تاريخ العرب

بارتنجتن : موجز تاريخ الكيمياء

حيدربامات : إسهام المسلمين فى الحضارة

كارل بوير : تاريخ الرياضيات

أبو الريحان البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة

أبو الريحان البيرونى : رسالة للبيرونى فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى

أبو الريحان البيرونى : الصيدنة فى الطب

أبو الريحان البيرونى : القانون المسعوى فى الهيئة والنجوم

ضياء الدين بن البيطار : الجامع فى الأدوية المفردة

ظهير الدين البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام

رنى تاتون : تاريخ العلوم من القديم إلى ١٤٥٠ ميلادية

ف. شروودتيلر : الخيمياء أساس لعلم الكيمياء

ادوارد ثورب : تاريخ الكيمياء

كامبل ثومسون : علم الأعشاب عند الأشوريين

فريد جحا : سيرة ابن سينا

ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء

جمهرة من علماء العرب : الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب

بنجمن لى جوردن : الطب فى القرون الوسطى وعصر النهضة الأوربية

سامى حداد : مآثر العرب فى العلوم الطبية

سامى خلف حمارنة : تاريخ الصيدلة والطب العربى منذ نشأته حتى العصور الحديثة

سامى خلف حمارنة : فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية

نشأت الحمارنة : الكحال (مجلة)

روحى الخالدى : الكيمياء عند العرب

أبو العباس بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

أمين خير الله : ملخص إسهام علماء العرب فى الطب

برنارد دادسون : تاريخ الصيدلة عند قدماء المصريين

أسعد داغر : حضارة العرب

على عبدالله الدفاع : إسهام علماء العرب والمسلمين فى الكيمياء

محمود دياب : الطب والأطباء فى مختلف العصور الإسلامية

أبو بكر الرازى : برء الساعة

أبو بكر الرازى : الطب الروحانى

على محمد راضى : عصر الإسلامى الذهبى : المأمون العباسى

أنور الرفاعى : الإسلام فى حضارته ونظمه

س. ريسلر : الحضارة العربية

طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة

زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم

صالح زكى : آثار باقية

جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى

جورج سارتون : العلوم الإنسانية

جورج سارتون : العلوم القديمة وعلم القرون الوسطى خلال نهضة ١٤٥٠ ـ ١٦٠٠ ميلادية

جورج سارتون : المدخل لتاريخ العلوم

جان ماكس ستيلمان : قصة علم الكيمياء فى الأزل

ديفيد يوجين سمث : تاريخ الرياضيات

أيد سنجر : علم الإغريق والعلم الحديث

ل.أ. سيديو : تاريخ العرب العام

فؤاد سيزكين : محاضرات فى تاريخ العلوم

أبو على بن سينا : الإشارات والتنبيهات

شاخت وبوزورت : تراث الإسلام

رمضان ششن : نوادر المخطوطات العربية فى مكتبات تركيا

أحمد شوكت الشطى : تاريخ الطب وآدابه وأعلامه

أحمد شوكت الشطى : العرب والطب

جابر الشكرى : الكيمياء عند العرب

مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية

نور حسين شودرى : فضل الطب الإسلامى - كيفية اكتسابها وإعادة تنخليمها

جلال شوقى : أثر العرب فى الميكانيكا

عبد العظيم حفنى صابر وزملائه : موجز تاريخ الصيدلة

إبراهيم الصبحى : العلوم عند العرب

فاضل أحمد الطائى : أعلام العرب فى الكيمياء

أبو الحسن على بن ابن الطبرى : فردوس الحكمة

إبن طفيل : حى بن يقظان

توفيق الطويل : العرب والعلم فى عصر الإسلام الذهبى ودراسات علمية أخرى

قدرى طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك

أسامة عانوتى : روائع من التراث العربى

كوهين العطار : منهاج الدكان ودستور الأعيان فى تركيب الأدوية النافعة للأبدان

زكى على : رسالة الطب العربى وتأثيره فى مدينة أوروبا

محمد كرد على : كنوز الأجداد

أحمد عيسى (بك) : آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب

مصطفى غالب : إبن سينا

فرات فائق : أبو بكر الرازى

ادوارد فاربر : نوابغ علماء الكيمياء

عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية

عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب

عمر فروخ : تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون

فليدنج هـ. قايسون : المقدمة فى تاريخ الطب

أحمد حسين قرنى : قصة الطب عند العرب

جمال الدين القفطى : تاريخ الحكماء

محمد فائز القصرى : مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها فى الحضارة

جورج شحاته قنواتى : تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط

جورج شحاته قنواتى : مؤلفات ابن سينا

عمر رضا كحالة : التاريخ والجغرافية فى العصور الوسطى

عمر رضا كحالة : العلوم البحتة فى العصور الوسطى

عمر رضا كحالة : العلوم العملية فى العصور الإسلامية

موريس كلاين : تاريخ الرياضيات من الغابر حتى الحاضر

رام لاندو : الإسلام والعرب

رام لاندو : مآثر العرب فى النهضة الغربية

أوثر لايسى : مكانة العرب (مجلة الأزهر)

جورج لوكمان: قصة الكيمياء

التاجى الماحى: مقدمة فى تاريخ الطب

عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى

ماكس مايرهوف: تراث الإسلام

ماكس مايرهوف: العلوم العربية (مجلة الجمعية الطبية المصرية)

نجيب محفوظ (باشا): الطب النبوى عند العرب

محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب

محمد مسعود: دائرة المعارف الإسلامية

جلال مظهر: أثر العرب فى الحضارة الأوربية

جلال مظهر: حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى

أحمد على الملا: أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية

عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفى فى الإسلام

محمود الحاج قاسم محمد: الموجز لما أضافه العرب فى الطب والعلوم المتعلقة به

عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم

ف.ج. مور: تاريخ الكيمياء

حميد مورانى: تاريخ العلوم عند العرب

حميد مورانى وعبد الحليم منتصر: قراءات فى تاريخ العلوم عند العرب

ابن النديم : فهرست

سيد حسين نصر : العلوم والحضارة فى الإسلام

سيد حسين نصر : العلوم الإسلامية

ناصر النقشبندى : مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى

كرلو نللينو : علم الفلك ـ تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى

عبد الرزاق نوفل : المسلمون والعلم الحديث

اسماعيل محمد هاشم : محاضرة فى نصيب العرب فى تقدم العلم والحضارة

ج. هاى : قصة عباقرة المسلمين

أ.ج. هوليارد : صانعو الكيمياء

زيغريد هونكه : شمس الله تسطع على الغرب

جورج يوردانق : علم الصيدلة

الفصل الثانى

ترجمة ابن البيطار [١]

(٥٩٣ ـ ٦٤٦هـ) (١١٩٧ ـ ١٢٤٨م)

هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقى ، المعروف بابن البيطار والملقب بالعشاب من شوامخ العلماء الكبار أشهر علماء النبات، وأعظم العشابين (الصيادلة) فى العصور الوسطى وعلى امتداد الحضارة الإسلامية ولد فى (مالقه) المدينة الساحلية الأندلسية وقد توفى فى دمشق عام (١٢٤٨م)[٢].

ـ ١ ـ
نشأته العلمية

كان والده بيطرياً حاذقاً، وتتلمذ على الأستاذ الكبير «أبى العباس أحمد بن محمد ابن فرج، عالم النبات المعروف «بابن الرومية» وكان «ابن الرومية» صاحب الشهرة العظيمة فى عالم النبات وقد ألف كتاب (الرحلة) الذى بقى المرجع الفريد لعدة قرون، تمكن ابن البيطار فى علم النبات على يد هذا العالم الكبير، كما ورث

---

(١) نلفت النظر إلى أننا لم نترجم للعالم الكبير ابن بطوطة بما هو جدير به فذلك يحتاج إلى فريق من الدارسين لاستفراغ النظر فى بطون المخطوطات والمراجع، حتى يمكن استقصاء وحصر كافة أعماله واخضاعها للبحث العلمى.

(٢) وفى رواية تحتاج إلى تحقيق أنه ولد سنة ١٢٢٠م وتوفى ١٢٤٨م ولم يتجاوز التاسعة والعشرين من عمره [انظر كتاب الصيدلة عربية مصرية تاليف ابو الحجاج حافظ ص٦٩]، وقيل أنه مات بعد أن تجرع عقاراً قاتلاً كان يجرى تجاربه عليه فمات فى الحال، انظر كتاب ابن البيطار فى العلاج بالأعشاب تاليف د. أبى مصعب البدرى ص ٦٧.

السمعة الجيدة عن استاذه، وزاع صيته، وارتفعت شهرته ومكانته العلمية حتى فاق أستاذه، وغطى اسمه باقى اسماء عشابى زمانه وأصبح علماً من أعلام النبات والصيدلة.

وتمكن ابن البيطار فى علمه بالدراسات الميدانية التى قام بها عن طريق اسفاره إلى بلاد اليونان وبلاد الروم وجميع بلاد العالم الإسلامى، وكان يجتمع بمن يعانى هذا الفن من مسلمين وعرب وأوربين من اليونان والرومان، ويدارسهم فى أنواع النبات وخواصه وفوائده. وكان فى كل ترحالة يدرس النبات فى منابته ويدرس الأرض التى تنبته، والعوامل المختلفة المتركزة عليه والمؤثرة فيه وبهذا جمع خبرة طويلة مستندة على الملاحظة الدقيقة.

وأطلع ابن البيطار على مؤلفات من سبقوه، ودرس واستوعب كتب ديستوريدس وجالينوس والقراط من علماء الإغريق، وكتب ابن سينا والغافقى والإدريسى وأبى العباس النباتى من علماء المسلمين، وكانت دراسته لها مستفيضة حتى اتقنها تماما وشرح النقاط الغامضة فيها.

وفى سن العشرين من عمره سافر إلى بلدان شمال أفريقية لدراسة النباتات ووصل إلى مصر فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى حيث أصبح رئيس العشابين (والعشاب هو العالم بالنبات وتحضير الأدوية منها) وقد أحسن صلاح الدين استقباله، وقدره حق التقدير وطلب منه البقاء فى مصر، ولكنه بعد مدة انتقل إلى دمشق فوجد الاستقبال الحار من الملك الكامل بن العادل وعينه رئيساً للعشابين، وعندما توفى الكامل تولى الحكم ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب فاحتضن ابن البيطار، وبقى فى دمشق حتى أدركه الموت.

ومن أبرز تلاميذ ابن البيطار، العالم الإسلامى «ابن أبى أصيبة» صاحب الكتاب الشهير «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» وقد التقى باستاذه بالشام عندما سافر إليها فى صحبة الملك الكامل، ومما قاله عن ابن البيطار «رأيت من حسن عشرته وكمال مروءته وغزارة علمه ودراسته ما يفوق الوصف، وقد وضع كتباً كثيرة».

- ٢ -

صفاته العلمية

كان ابن البيطار يمتاز بعقليته العلمية الأصيلة التى تميل إلى التجربة وتؤمن بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط وتحرى الصدق والدقة والأمانة فى النقل، ويتحدث عن منهجه فى الدراسة فيقول «اسندت الأقوال إلى قائلها ، وعرفت طريق النقل فيها بذكر ناقلها، فما صح عندى بالمشاهدة والنظر وثبت لدى ادخرته كنزاً، وأما ما كان مخالفاً فى القوى والكيفية والمشاهدة الحسية فى المنفعة نبذته ظهرياً ، ولم أحاسب فى ذلك قديماً لسبقه ولا محدثاً اعتمد على صدقه».. «وقد جمع بين النظر والتطبيق والعلم والممارسة وأرى أن شخصيته العلمية الباهرة التى جعلت منه أعظم علماء النبات فى القرون الوسطى وأشهر العشابين (الصيادلة) فى عصور الحضارة الإسلامية ، وصاحب أهم كتاب فى النباتات الطبية طوال الحقبة الممتدة من ديستوريدس الإغريقى إلى القرن السادس عشر الميلادى - أقول إن هذه الشخصية - تستند إلى أمور أساسية هى :

١ - الاهتمام بالدراسات الميدانية :

حرص ابن البيطار على تطبيق «أسلوب الدراسة الميدانية» وفى سبيل ذلك رحل إلى كثير من البلدان ليشاهد النباتات على الطبيعة فى أوطانها ويقوم بدراستها دراسة علمية وافية. وكما أشرنا من قبل فقد سافر من أقاصى الغرب بالأندلس إلى أقاصى الشرق بالهند وذهب إلى شمال أفريقيا ومصر والشام واليونان وآسيا الوسطى ، وربما لم يسجل التاريخ عن أحد من علماء النبات وصل إلى حرص ابن البيطار فى الأخذ بأسلوب الدراسة الميدانية كمنهج علمى فى البحث والنظر والمعاينة للنباتات على الطبيعة فى بيئتها ، ويقوم بنفسه بذلك.

يقول «جلال مظهر» فى كتابه (أثر العرب فى الحضارة الأوربية)، «وقد سافر ابن البيطار هذا العالم النباتى والطبيب الكبير إلى أنحاء كثيرة من المعمورة للحصول على نباتات جديدة» ، ويقول «عمر رضا كحالة» فى كتابه (العلوم البحته فى العصور الوسطى) : «كان ابن البيطار أوحد زمانه فى معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت اسمائه على اختلافها وتنوعها - سافر إلى بلاد الإغريق ، وأقصى بلاد الروم فى آسيا الصغرى - ولقى جماعة يشتغلون بعلم النبات وأخذ عنهم معرفة نباتات كثيرة ، وعاينها فى مواضعها، واجتمع أيضاً فى المغرب وغيره بكثير من الفضلاء فى معرفة النبات ، وعايش منابته وتحقق ماهيته». ويقول «أنور الرفاعى» فى كتابه (الإسلام فى حضارته ونظمه) : «فاق ابن البيطار استاذه أبا العباس ابن الردينه وأصبح علماً من علماء النبات لما قام به من أسفار إلى بلاد اليونان وبلاد الروم وجميع بلاد العالم الإسلامى ليجتمع بمن يشتغلون بهذا الفن ويدارسهم فى أنواع النبات... وكان فى كل ترحاله يدرس النبات فى منابته».

٢- الاعتماد على التجربة والاختبار:

كان ابن البيطار يمتاز بعقليته العلمية والأصلية التى تميل إلى التجربة والأختبار، يقول «عز الدين فراج» فى كتابه (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية) : وعلماء النبات المسلمون كثيرون، ويعتبر ابن البيطار أكثرهم انتاجاً وأدقهم دراسة فى فحص النبات فى مختلف البيئات وفى مختلف البلاد وكان بارعاً فى معرفة النبات وتحقيقه واختباره. واستطاع بمنهجيته العلمية وأسلوبه التجريبى أن يخرج بمستحضرات وعقاقير طبية تعد ذخيرة للصيدلة العالمية. ويشير ابن البيطار إلى حرصه على المشاهدة الحسية - أى التجربة - فى مقدمة كتابه (الاقربازين) وذلك فى قوله : «فما صح بالمشاهدة والنظر وثبت بالخبرة لا الخبر

ادخره كنزا ، وعدلت نفسى عن الاستعانة بغيرى فيه، سوى الله غنياً ، وما كان مخالفاً فى القوى والكيفية والمشاهدة الحسية فى المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق نبذته وهجرته ملياً... والتنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط لمقته أو متأخر ، لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل، واعتمادنا على التجربة والمشاهدة»[1].

٣ـ الاهتمام بدقة النقل والدراسة المقارنة والتصويب :

«قارن ابن البيطار مجموعته من النباتات والعقاقير بأكثر من مائة وخمسين مؤلفاً من مؤلفات الأقدمين أو العرب»[2] ويقول «ابن أبى أصيبعة» فى كتابه (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) : «كان يذكر جملة من أقوال ديستوريدس وجالينوس والغافقى وأمثالهم، ويذكر ما اختلفوا فيه ومواقع الغلط والاشتباه الذى وقع لبعضهم... فكنت اراجع تلك الكتب معه ولا أجده يغادر شيئاً مما فيها».

وجاء فى مقدمة كتاب «الاقربازين» لابن البيطار «وقيدت ما يجب منها بالضبط وبالشكل وبالنقط تقييداً يؤمن معه من التصحيف ويسلم قارؤه من التبديل والتحريف، إذ كان أكثر الوهم والغلط الداحل على الناظر فى الصحف أنما هو من تصحيفهم لما يقرأونه أو سهو الوراقين فيما يكتبون ويقول «جلال مظهر» فى كتابه (أثر العرب فى الحضارة الأوربية) : كما أن مؤلفات ديستوريدس وجالينوس ، اوريبازيوس ، كثيراً ما كانت موضع تصحيحاته كما نجد عنده أيضاً كثيراً من الحقائق والتفاصيل التى لا نجدها مطلقاً عند هؤلاء».

---

(١) تاريخ الصيدلة والعقاقير «جورج قنواتى».

(٢) اسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٣٩٦، ٤٠٣.

٤ ـ اتساع الخبرات وتنوعها :

بدأ ابن البيطار دراساته وممارساته مبكراً واكتسب خبرات عظيمة من خلال دراساته المستفيضة لكتب الأقدمين أمثال جالينوس وديسفوريدس وابن سينا والغافقى والادريسى ، حتى اتقنها وقام بشرحها وبجانب الدراسات النظرية فقد اتسعت خبراته عن طريق الدراسات العملية والميدانية ومن خلال رحلاته وسفره إلى أنحاء المعمورة. كما اشرنا من قبل ، وضاعف من خبراته ، ممارساته وتقلده لأعلى مناصب العشابين بمصر والشام وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً، يقول «عبد المنعم ماجد» فى كتابه (تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى) : «تقدم علم الصيدلة على يد ابن البيطار الذى عاش فى مصر فى عهد الايوبيين، وكان رئيس العشابين (أو كبير الصيادلة)... «وفى سن العشرين من عمره سافر ابن البيطار إلى بلدان شمال أفريقيا لدراسة النباتات، ووصل مصر فى عهد السلطان صلاح الدين الايوبى حيث أصبح رئيس العشابين (والعشاب هو العالم بالنبات وتحضير الأدوية، والذى يعرف بالصيدلانى)... ولقد اشتغل ابن البيطار مدة طويلة متنقلاً فى جميع انحاء البلاد الإسلامية يجمع الاعشاب الطبية ويدرسها[1] ويقول «ابن ابى اصبيعة» فى كتابه (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) : كان ابن البيطار فى خدمة الملك الكامل بن أيوب وكان يعتمد عليه فى المسائل الطبية وفى الأدوية وجعله رئيساً على العشابين ويقول «محمد فائز القصرى» فى كتابه (مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها فى الحضارة) : ومنذ عصر المأمون فى القرن التاسع الميلادى أصبحت الصيدليات تحت اشراف الدولة والصيادلة يتعرضون لفحص ملكى، وكان ابن البيطار عميداً لقسم الصيدلة فى القاهرة وكان من أشهر علماء الكيمياء والصيدلة».

بهذه الأمور التى ذكرناها وبغيرها تكونت الشخصية العلمية الباهرة لابن البيطار حتى أصبح من أعظم عباقرة العلماء فى علوم النبات والصيدلة.

(١) اسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص ٤٠٧.

ـ ٣ ـ

مآثره العلمية وانجازاته الحضارية

تنوعت جهود وانجازات ابن البيطار العلمية والتطبيقية وكانت فى مجالات متنوعة شملت : الأعشاب والنباتات الطبية والزراعة والصيدلة والطب والكيمياء، وكان لها أكبر الأثر فى تقدم الحضارة فى تلك المجالات، ولم تكن قاصرة على الحضارة الإسلامية بل تعدتها إلى الحضارة الاوربية التى جاءت بعدها وورثتها، ويكفى أن نذكر باختصار شديد بعض المآثر والانجازات فيمايلى :

أولاً : شرح ونقح وصحح وهذب علوم العشابين والصيادلة السابقين من عصر ابقراط وجالينوس مروراً بابن سينا والغافقى والادريسى إلى عصره هو، حتى قال عنه معاصروه «إنه الحكيم الأجل العالم النباتى وعلامة وقته فى التحقيق والاختبار» ولهذا كان له الفضل فى تنقية التراث العلمى لهؤلاء العلماء الكبار وبالتالى له الفضل فى تصحيح المسار المنهجى فى دراسة النباتات الطبية وتصويب المعلومات عنها. وبهذا انتقل التراث الصيدلى للإغريق والرومان والمسلمين ـ بفضل تحقيقات ابن البيطار ـ مصححا ومنقحاً إلى علماء أوربا مما ساهم فى قيام الحضارة الغربية فى العصور الوسطى فى مجال (الاقربازين) على أسس سليمة ومعلومات صحيحه وقد سبق أن تحدثنا عن الجهد العلمى الرائع فى تصحيح علوم الأقدمين الذى قام به ابن البيطار، وجاء فى كتاب (أثر العرب فى الحضارة الاوربية)[1] : «كما أن مؤلفات ديستوريدس وجالينوس واوريبازيوس كثيراً ما كانت موضع تصحيحات ابن البيطار».

(١) الكتاب تأليف «جلال مظهر».

ثانياً: التأكيد على المشاهدة والتجربة كأسلوب أساسى لدراسة الأعشاب الطبية وسائر العقاقير، والتزام ابن البيطار بهذا الاسلوب العلمى المتقدم فى دراساته الصيدلانية، وبذلك يكون ابن البيطار قد شارك فى تأسيس المنهج التجريبى وادخاله فى الحضارة العلمية الإسلامية قبل قرون من ظهوره فى الحضارة الاوربية ودعوة علماء الغرب إليه ونسبته إليهم وادعائهم السبق إليه.

ثالثاً: قام ابن البيطار بدراسات وبحوث علمية دقيقة لكثير من الأعشاب الطبية والعقاقير التى تحدث عنها الأقدمون من علماء الإغريق والرومان، والسابقون من علماء المسلمين ، كما ادخل فى علم (الاقربازين) مئات من العقاقير التى لم يتحدث عنها من سبقه من العلماء بعد أن قام بدراستها ووصفها بدقة. وفى كتابه الشهير «الجامع فى الأدوية المفردة» سجل كل هذه الأدوية . يقول الدوميلى فى كتابه (العلم عند العرب) : «ويحوى كتاب الجامع فى الأدوية المفردة لابن البيطار مايزيد على (١٤٠٠) صنف من الأدوية، المختلفة المرتبة حسب الحروف الأبجدية منها (٣٠٠) صنف لم يتناول بحثها كتاب فى الصيدلة من قبل».

ولم يقصر ابن البيطار نفسه الأدوية المفردة التى استخلصها من الأعشاب الطبية، ولكن أيضاً استخرج كثيراً من الأدوية من الحيوانات والمعادن معتمداً بذلك على التجربة والمشاهدة، وبهذا كانت له الاسهامات الوافرة فى الحقل الدوائى، مما جعل مؤرخو تاريخ العلوم يقولون «لقد تقدم علم الصيدلة على يد بن البيطار» ويشيرون إلى مكانة ابن البيطار فى مجال علم الأدوية (الصيدلة) وفى ذلك يقول المستشرق «رام لاندو» (فى كتابه الإسلام والعرب): «صنف ابن البيطار أهم وأوسع كتاب وهو الجامع فى الأدوية المفردة، وهو دائرة معارف حقيقة فى هذا الموضوع ضمت بين ضفتيها كامل الخبرات الإغريقية والعربية، لذا يجب القول أن ابن البيطار

أعظم عالم نباتي وصيدلي في القرون الوسطى ولو أخذت الأمور على حقيقتها فهو أعظم عالم نباتي وصيدلي في جميع العصور. وكتاب (الجامع في الأدوية المفردة) أهم كتاب ألف في الموضوع طوال الحقبة الممتدة من ديفوريدس إلى القرن السادس عشر الميلادى «واستطاع ابن البيطار أن يخرج من دراساته وتجاربه بمستحضرات ومركبات وعقاقير طبية تعد ذخيرة لعلم الصيدلة.

رابعاً: لم تقف جهود ابن البيطار عند دراسة النباتات الطبية والأعشاب الدوائية بل اتسعت لتشمل حقل الزراعة بصفة عامة ويقول «عبد الرزاق نوفل» في كتابه (المسلمون والعلم الحديث) : «ابن البيطار (ضياء الدين) هو أول عالم أهتم بدراسة الحشائش التى تثبت فى الحقل، وتضر بالمحاصيل، وكون مجموعات فى الأنواع المختلفة والأصناف العديدة التى تختص بكل محصول، ومازالت فكرة تكون مجموعات الحشائش هى الأساس الذى يلجأ إليه علماء النبات فى أبحاثها حتى الوقت الحاضر» واعتمدت أوربا فى نهضتها فى حقل الزراعة على مولفات ابن البيطار.

وبعد فهذا قليل من كثير عن مآثر ابن البيطار العلمية وانجازاته الحضارية ومن يرد المزيد والاستقصاء فى التعرف على هذه الجهود الرائعة والأعمال الباهرة، فعليه الاطلاع عليها فى عشرات المؤلفات من بين ما ذكرناه فى قائمة الكتب التى الحقناها بنهاية الفصل الأول، والاطلاع فى غيرها خارج هذه القائمة مطبوعاً أو مخطوطاً بالعربية أو مترجمة إلى اللغات الأخرى.

مؤلفات ابن البيطار

عكف ابن البيطار على التأليف فكان انتاجه غزيراً، واستشهد كثير من العلماء بمؤلفاته لما لها من صيغة علمية نزيهة، ولما تحتوى عليه من معلومات أصيلة... وقد وضع كتباً كثيرة وكان أشهرها :

١ـ كتاب الجامع فى الأدوية المفردة :

أو (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) أو (مفردات ابن البيطار) : وهو من أربعة أجزاء، ويشتمل على وصف النباتات والاحجار والمعادن والحيوانات التى لها خواص طبية، وهو يحتوى على مجموعة كبيرة من العلاجات. وقد اشتهر كتابه (الجامع فى الأدوية المفردة) الذى وصف فيه أكثر من (١٤٠٠) عقار بين نباتى وحيوانى ومعدنى، منهم (٣٠٠) من صنعة، مبيناً الفوائد الطبية لكل واحد منها.

ويقول «عمر رضا كحالة» فى كتابه (العلوم البحته فى العصور الوسطى): «وفى كتابه ـ أى الجامع فى الأدوية المفردة ـ ذكر ما يذكره غيره، وما يشاهده بنفسه فى مختلف البلدان، وعلى اختلاف الأسماء، وضبطه على حروف العجم واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة واسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح فيها وما وقع الاشتباه فيه»، ولم يقدم على تأليف كتبه الا بعد أن أكمل دراساته المستفيضة. وحتى إذا جمع خبرة طويلة مستندة على الملاحظة الدقيقة الف كتاب (المغنى فى الأدوية المفردة) و(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)[1] وكتاب الجامع موسوعة طبية صيدلية ، حوت المئات من الأدوية وذكر ابن البيطار ماهيات هذه الأدوية وقوامها ومنافعها ومضارها واصلاح ضررها والمقادير المستعملة فى جرمها أو عصارتها أو طبخها[2].

---

(١) اسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة ص٣٩٤.
(٢) المرجع السابق ص ٤٠٠.

ويذكر أسامة ناصر النقشبندى فى كتابه (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى) أن هناك مخطوطاً لكتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) «لضياء الدين عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقى النباتى» فى مكتبة المتحف العراقى جيدة الخط، وتتضمن المجلد الأول من الكتاب الذى ينتهى بحرف الخاء، ويوجد هذا المخطوط تحت الرقم ١٦٩٧٥ والقياس ص ٢٥,٥ × ١٥,٥سم.

ويذكر «رمضان ششن» فى كتابه (نوادر المخطوطات العربية فى مخطوطات تركيا) أنه يوجد فى (مكتبة طاوشانلى) نسخة من (كتاب الأدوية المفردة) مطلعها «الحمد لله الذى أقام بلطف حكمته بنية الإنسان وبعد فإنه لما رسم بالأوامر المطاعة بوضع كتاب فى الأدوية المفردة نذكر فيها ماهيتها وقواها... وهذا المخطوط تحت رقم ٢٢٢٩، فى ٢٣٦ ورقة.

ويلخص «جابر الشكر» فى كتابه (الكيمياء عند العرب) آراء علماء العصر الحديث حول كتاب الجامع لمفردات الأدوية لشيخ العشابين ابن البيطار فيقول «لقد ذاع صيت هذا الكتاب وعلى شأنه ولايزال المرجع المفضل فى دراسة علم الأعشاب والأدوية المفردة.

ويقول «جورج شحاته قنواتى» فى كتابه (تاريخ الصيدلة والعقاقير) : «كان القرن الثالث عشر الميلادى للأندلس قرناً ملحوظاً لأفول نجمه السياسى وتوقف حركته العلمية إلا أنه شهد ظهور أكبر موسوعة خاصة بالأدوية المفردة وصلت من القرون الوسطى وهى (الكتاب الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار).

وقال «ابن أبى أصيبعة» فى كتابه (عيون الأبناء فى طبقات الأطباء) : «وقد استقصى ابن البيطار فى كتابه (الجامع فى الأدوية المفردة) ذكر الأدوية المفردة واسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه، ولم

يوجد فى الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه».

ويقول «سامى خلف حمارنة» فى كتابه (تاريخ الصيدلة والطب العربى منذ نشأته حتى العصور الحديثة) : «كان ابن البيطار مخلصاً فى نقله، مجتهداً فى مقارنته دواء بدواء، واسم بمسمى، وحاول دراسة النباتات نفسها للتأكد من حقيقة أوصافها مما جعل للجامع - وهو لمفردات الأدوية فى أربعة أجزاء - أثراً لا يستهان به. وقد اختصر كتابه، وعلق عليه، وترجم إلى اللاتينية والتركية والالمانية والفرنسية، وطبع أكثر من مرة بالعربية فى بولاق سنة ١٢٩١هـ، وكان لمعلوماته تأثير فى تطور المعرفة فى الأدوية والأغذية المستعملة فى المداواة فى الشرق والغرب». واهتم مؤرخو العلوم بهذا الكتاب وعلقوا عليه تعليقات ممتازة تدل على قيمته وعلى مكانة المؤلف فى معرفة علم الأدوية.

٢. كتاب المغنى فى الأدوية :

أوضح فيه ابن البيطار علاج الأعضاء واحداً واحداً بطريقة مختصرة وجلية - حيث استفاد منها أطباء عصره، وهو مرتب حسب مداواة الأعضاء المريضة، فبحث فى أدوية أمراض الرأس، والأذن... الخ وعرض للأدوية التى تعالج الحمى والسموم.

٣. كتاب الاقربازين :

وهو يحتوى على مجموعة من الأدوية، وقد ألفه عندما كان مقيماً فى مصر. وترجمت أجزاء من هذا الكتاب القيم إلى اللاتينية، ويمكن تتبعها، ومنها طبعات مختلفة فى البندقية سنة ١٥٩٨م وفى باريس سنة ١٦٠٢م وفى كريمونا سنة ١٧٥٨م، وأما الترجمة الكاملة فظهرت فى ستوجارت بألمانيا سنة ١٨٤٢م.

ويذكر «جورج شحاته قنواتى» فى كتابه (تاريخ الصيدلة والعقاقير) أن ابن البيطار قد أوضح فى مقدمة كتابه (الاقربازين) الأغراض الآتية :

الغرض الأول :

استيعاب القول فى الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار عند الاحتياج إليها فى ليل كان أو نهار.

الغرض الثانى :

صحة النقل فيما ذكره عن الأقدمين وحرره عن المتأخرين.

الغرض الثالث :

ترك التكرار حسب الإمكان إلا فيما تمس الحاجة إليه لزيادة معنى وتباين.

الغرض الرابع :

تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف العجم ليسهل على الطالب ما طلب.

الغرض الخامس :

التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط لمتقدم أو متأخر.

الغرض السادس :

أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينه... وقيدت ما يجب منه بالضبط وبالشكل وبالنقط تقييداً يؤمن معه من التصحيف ويسلم قارئه من التبديل والتحريف.

٤ ـ كتاب الإبانة والاعلام بما فى المنهاج من الخلل والأوهام.

٥ ـ كتاب شرح أدوية ديستوريدس.

ـ ٤ ـ

قالوا عن ابن البيطار

وعن ابن البيطار كتب الكثيرون من مؤرخى العلوم ومن كبار المفكرين شرقاً وغرباً ، مسلمين وأوربيين، قدامى ومعاصرين، كتبوا عنه كتابات ممتازة تدل على علو شأنه وعظيم قدره وعلى مكانته العلمية المرموقة فى علم الأدوية (الصيدلة)، وعلم النبات، وباختصار نشير إلى أقوال بعضهم فيمايلى :

- قالت «زيغريد هونكه» فى كتابها (شمس الله تسطع على الغرب) : «تعددت التجارب فكثرت المواد التى ابتكرها علماء العرب، ولكن ابن البيطار هو أعظم عباقرة العرب فى علم النبات».
- قال «عمر رضا كحاله» فى كتابه (العلوم البحته فى العصور الوسطى) : «كان ابن البيطار أوحد زمانه فى معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت اسمائه على اختلافها وتنوعها».
- قال «سيد حسين نصر» فى كتابه (العلوم والحضارة فى الإسلام) : «إن ابن البيطار أعظم عالم مسلم فى علمى النبات والعقاقير، ولقد طغت سمعته الواسعة على جميع الصيادلة فى القرون الوسطى. وبدون شك فهو أعظم صيدلى منذ عصر ديستوريدس حتى العصر الحديث».
- قال «محمد عبدالرحمن مرحبا» فى كتابه (تاريخ العلوم عند العرب) : «والحق أن ابن البيطار كان أعظم عالم نباتى وصيدلانى ظهر فى العصور الوسطى كلها. كان أوحد زمانه فى معرفة النبات وتحقيقه واختباره».
- وقال المستشرق «رام لاند» فى كتابه (السلام والعرب) : «يجب القول أن ابن البيطار أعظم عالم نباتى وصيدلى فى القرون الوسطى ولو أخذت

الأمور على حقيقتها فهو أعظم عالم نباتى وصيدلى فى جميع العصور».

- ويقول «عز الدين فراج» فى كتابه (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية) : «وهكذا يضرب ابن البيطار مثلاً أعلى للعالم العربى المدقق، الناقد الذى يعتمد على البحث والتجربة والمشاهدة، مما جعله فى مقدمة علماء المشرق والمغرب».

- ويقول «أسامة عانونى» فى كتابه (روائع من التراث العربى) : «وقد اتضح لنا أن الأوصاف والمعلومات (الاستطبابات) الاساسية التى أتى بها ابن البيطار صحيحة فى جوهرها، وليس أدل على ذلك من أن طائفة عظيمة من الأعشاب والنباتات التى طوت عليها كتبه قد اعترف الطب الحديث بجدواها، ودخلت فى علم العقاقير مواد ثبت صلاحها فى معالجة الأمراض وأنه لمن الغدر والظلم والتنكر لقدسية العلم، أن يسدل ستار الاعراض أو النسيان لما قدمه ابن البيطار».

- ويقول «على عبدالله الدفاح» فى كتابه (اسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة) : «أن مصنفات ابن البيطار فى النبات والاقربازين لاتزال ثروة علمية عالمية. ونجد أن ابن البيطار استند على التجربة والمشاهدة لا على النقل والخبر فى صنع العقاقير. فالمفردات الطبية التى جمعها ابن البيطار لها صفة علمية بحته، فما احرى وأجدر بنا أن نتبع الطريقة العلمية التى اتخذها ابن البيطار فى علمى النبات والصيدلة حتى نتمكن من نشر وتطوير ما قدمه أجدادنا من مادة علمية غزيرة كانت سبباً فى تطوير الكثير من العلوم والمعارف».

- وقال «أنور الرفاعى» فى كتابه (الإسلام فى حضارته ونظمه) : «فاق ابن البيطار استاذه أبا العباس ابن الرومية وأصبح علماً من أعلام النبات».

- وقال «جورج سارتون» فى كتابه (المدخل إلى تاريخ العلوم) : «اشتهر ابن البيطار بكثرة اسفاره التى زار فيها الكثير من بقاع العالم لدراسة النباتات دراسة عالم خبير، واعتمد علماء أوربا على مؤلفاته حتى عصر النهضة الاوربية.

إن الجامع فى الأدوية المفردة لابن البيطار خير ما ألف فى هذا الموضوع فى القرون الوسطى، بل أضخم انتاج من نوعه حتى القرن السادس عشر الميلادى.

الخاتمة

وبعد العرض التاريخي المختصر لجهود العلماء المسلمين في حقول الطب والصيدلة والكيمياء، ودورهم الرائع في قيام الحضارة العالمية الإسلامية والغربية في العصور الوسطى، وبعد الترجمة المختصرة للعالم الشهير ابن البيطار ننتهي إلى التقرير التالي :

(١) كان ابن البيطار من شوامخ علماء الحضارة الإسلامية على امتدادها، وممن ارسوا قواعد العلم الحديث فى النبات والصيدلة والكيمياء، وكانت أعماله وأبحاثه واكتشافاته الباهرة هى المعبر الذى تحركت عليه أوربا من عصور التخلف إلى عصر النهضة، فى علوم النبات والصيدلة، وظلت مؤلفاته فى العقاقير مراجع علمية أساسية لعلماء الغرب فى القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر الميلادى، فلا غرور أن يكون ابن البيطار أعظم علماء النبات والعقاقير على مدى التاريخ وحتى يومنا هذا بشهادة كل من كتبوا فى تاريخ العلوم والحضارات. وبشهادة تراثه العلمى الذى مازالت تعمر به المكتبات العالمية الكبرى الاوربية والإسلامية.

وقد جاء الوقت الذى لزم فيه الاستفادة من أعمال هذا العالم العظيم فى مجال العقاقير الطبيعية، خاصة وأن العلم الحديث فى مجال الدواء يتحرك نحو العلاج النباتى والعلاج بالأدوية ذات المصادر الطبيعية، باستخدام التقنيات الحديثة على ضوء البحوث والدراسات العلمية المتقدمة، ولعل فى مؤلفات ابن البيطار كنوز للمعرفة تصلح لأن تكون مصادر للبحث والاكتشاف والابتكار فى علوم العقاقير والنبات.

والمطلوب من أهل الاختصاص من علماء الأمة الإسلامية أن يبحثوا

ويدرسوا انتاج ابن البيطار الذى خلفه للعالم حتى نراه بوضوح ونستفيد منه.

(٢) إن الحضارة الإسلامية وبداية الحضارة الأوربية والقوة الدافعة للحضارة الحديثة التى ينعم بها العالم، قد قامت ونمت وترعرعت بالجهود المخلصة التى قدمها العمالقة من علماء المسلمين، ولكن للأسف ـ فإن معظم انتاج هؤلاء الرواد قد طُمس واختفى أو انتحل وفقد هويته الإسلامية وذلك بسبب الأهمال من جانب الأمة الإسلامية والأغفال والاحتيال والسطو من جانب المجتمع الغربى، بل الأدهى من ذلك وأكثر تلك المقولات الباطلة التى يروج لها الغرب ومفكروه ويصدقها ضعاف الهمم من ابناء الأمة الإسلامية فى عصر الهزيمة والانحطاط، وهى التى تزعم بأن علماء الأمة الإسلامية الاوائل كانوا مجرد نقله للعلوم من الأمم السابقة لهم بأن ترجموها إلى اللغة العربية، وهذا زيف وبطلان وإسائه متعمدة ويشهد على ذلك الاستقراء التاريخى لحضارات العصور الوسطى، ومجريات الاحداث وتاريخ العلوم، والدراسات التاريخية الدقيقة والمنصفة والتراث العلمى الأصيل الذى تركه علماء الحضارة الإسلامية.

(٣) يتضح جلياً أن الحضارة العربية والإسلامية مستهدفة للطعن فى اصالتها، والأمر يتطلب نشاطاً إعلامياً لبيان الدور الأصيل الذى قام بها رواد الحضارة الإسلامية، بعد أن تعرفوا على بقايا التراث العلمى للإغريق والرومان وفى مجال الطب والصيدلة بصفة خاصة قاموا بإبراز الأخطاء التى وقع فيها علماء اليونان والفرس والهنود، وحرصوا على تصحيح تلك الأخطاء كما أنهم اعتمدوا على الفحوص والدراسات والتجارب العلمية التى قاموا بها ولم يرتكنوا إلى مجرد الخبر والدراسات

النظرية المنقولة عن الآخرين، وبهذا قاموا بالتصحيح والتنقيح والتجريب والاكتشاف والابتكاريه، وهى الجهود التى قامت عليها الحضارة الإسلامية وفق المنهج العلمى الحديث الذى كانت تفتقر إليه علوم الاقدمين السابقين لهم، كما أنها الجهود التى استحقوا أن يكونوا بها من رواد النهضة الحديثة بل ومن عمالقة العلماء فى كل العصور.

(٤) ما جرى من طمس لمعالم الحضارة الإسلامية وإخفاء لجهود عباقرة العلماء المسلمين على أيدى فئة من مؤرخى الغرب وما أعقبه من حملة ثقافية شرسة ضد الإسلام، ترتب على كل ذلك ـ بالاضافة إلى الغزو العسكرى والسياسى ـ إخفاء لجزء كبير من الدور الايجابى للدين الإسلامى فى نشر العلم ومواكبة التقدم، والنظر إليه كدين يدعو إلى الجهل ويساعد على التخلف... واستقرت كل هذه المفاهيم الخاطئة فى فكر ووجدان الشعوب الاوربية من خلال الاباطيل والكتب المضللة والثقافات المسمومة والحملات الاعلامية الحاقدة منذ العصور الوسطى. والمطلوب الاسراع فى تصحيح صورة الإسلام فى العالم الغربى.

ومن أهم ما يجب أن يجرى عليه التصويب هو تاريخ العلوم والحضارة فى القرون الوسطى، والتأريخ السليم للحضارة الإسلامية ولعلمائها العظام. وبيان سير هذه الحضارة الخالدة عبر العصور وملاحقتها للحضارة الغربية والتأثير فيها بدرجة كبيرة. والمطلوب الاهتمام بهذا العمل الحيوى الذى يدخل فى صميم الدعوة الإسلامية والبدء به على وجه السرعة لدعم ومساندة تلك المحاولات الجادة والرغبات الصادقة لإجراء حوارات بين الغرب والإسلام، والتى يدعو إليها فئة من عقلاء السياسيين والمفكرين فى العالم الغربى والعالم الإسلامى رغبة فى ايجاد وفاق بين الحضارات والثقافات فى كلا المعسكرين يترتب عليه التعاون والتكامل بينها لصالح البشر... ولن يتحقق الأمل الطيب المعقود على هذه الحوارات إلا إذا تخلصت الشعوب

الغربيـة من مفاهيـمها عن الإسلام، وتجـردت من مشاعـر الخوف والحقد والعـداء نحو المسلمين، ولن يحدث ذلك إلا بتنقية ثقافات الغرب وكتبه وإعلامه من كافة المزاعم والاباطيل ضد الإسلام، ومما يساعد على ذلك بشكل فعال ـ هو كما قلنا ـ تصحيح التاريخ العلمي للحضارة الإسلامية، وتسليط الأضواء عليه، وإدخاله فى ثقافات الغرب واعلامه ومناهج التعليم به، وهذا ما نطالب به على وجه السرعة المسئولين، والمتخصصين والمؤسسات الإعلامية، والثقافية والتعليمية، مع توفر الإخلاص والجدية والإمكانات والاساليب العلمية الحضارية... كما نطالب بوضع مقررات تعليمية تسمى تاريخ الحضارة الإسلامية وتكون كمادة مستقلة وتشتمل على ترجمة لبعض علماء المسلمين فى العصور الوسطى، ولا بأس من تدريسها بالمراحل الثانوية والمراحل الجامعية ـ مع مراعاة اختيار العلماء المؤرخ لهم حسب المراحل التعليمية وبما يناسب التخصصات.

وفى الختام أرجو من القراء الكرام الصفح عن التقصير وتصويب الخطأ وتقديم النصيحة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور

أبو الوفا عبد الآخر

الفصل الثالث

قراءة فى كتاب [1]

تحفة ابن البيطار فى العلاج بالأعشاب والنباتات

لابن البيطار كما ذكرنا من قبل الكثير من الكتب والأبحاث الطبية وهذا الكتاب موضوع القراءة هو «الدرة البهية فى منافع الأبدان الانسانية» وهو مختصر لكتابه الشهير «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» ـ المعروف بمفردات ابن البيطار.

ومنهجى فى قراءة الكتاب يقوم على أمور ثلاثة :

الأمر الأول : النظر فى الكتاب وتقييم مادته العلمية فيما يتعلق بالأسس النظرية للأمراض وعلاجها والمصطلحات على ضوء التاريخ العلمى لعصر ابن البيطار، حتى تتحقق الموضوعية والانصاف فيما يتعلق بتقييم أعمال هذا العالم الجليل حسب زمانه، ونلمس بصدق وواقعية وموضوعية عظمته وبراعته وابداعه.

الأمر الثانى : النظر إلى التراث العلمى لابن البيطار فى بعض جوانبه على ضوء ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات وحقائق لتدرك ـ حين

(١) النسخة المعتمدة هى الكتاب الذى حرره الدكتور أبو مصعب البدرى بعنوان «تحفة ابن البيطار فى العلاج بالاعشاب والنباتات» الصادر عن دار الفضيلة للنشر تحت رقم الايداع بدار الكتاب ٩٠٠٣/١٩٩٢. وهذا الكتاب يعتمد على كتاب «الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية» لابن البيطار وهو مختصر كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» وقد حققه من قبل الأستاذ / محمد عبدالله الغزالى الاسكندرى الأمين السابق لوزارة التربية والتعليم ودار الكتب. ومما قاله المحقق فى الطبعة الأولى «فإنى قد حصلت فى أيام انتدابى للتدريس فى الحرم المكى الشريف والمعهد السعودى للمعلمين بمكة المكرمة على مختصر مفردات الطبيب الأشهر والعلامة الأكبر (ضياء الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقى الأندلس) وهذا المختصر مخطوط على ورق عتيق بخط دقيق أحسبه مسوّدة المؤلف ـ رحمه الله ـ ولعلمى بعد البحث المتواصل أنه المختصر النادر المثال الوحيد اعتزمت طبعه ونشره (١.هـ) [انظر كتاب العلاج بالأعشاب والنباتات ص٩].

المطابقة ـ قيمة الابحاث والدراسات التى تركها لنا العالم ابن البيطار باستمراريتها وصوابها واتفاقها مع احدث الدراسات المعاصرة.

الأمر الثالث: الاكتفاء بالقليل من الشواهد والأمثلة من خلال نقول مختصرة من الكتاب موضوع القراءة تاركاً الاستقصاء فى التحقيق والتوسع فى التقييم والقيام بالتجريب للدارسين والباحثين والعلماء العاملين بالمؤسسات التعليمية والبحثية المعنية بالعلاج بعامة وبطب الأعشاب وتركيبها بخاصة.

وأقدم قراءة الكتاب فى مبحثين هما:

١ ـ المسار العلمى للكتاب.

٢ ـ نصوص وتعليقات ومفردات دوائية

المبحث الأول

المسار العلمى للكتاب[١]

إذا نظرنا فى منهج الكتاب ومساره العلمى وجرى التقييم على ضوء العلوم والمعارف المتاحة فى عصر ابن البيطار، لوجدناه على درجة عالية من الصواب والاتقان والشمول، ولو جرى التقييم على ضوء المعارف الحديثة لوجدنا الكتاب على مستوى نظرى مقبول مما يدل على تمكن ابن البيطار وارتفاع قدره ومكانته العلمية فى الطب والصيدلة والعلاج. وحتى يكون التقييم العلمى واقعيا وموضوعيا، وحتى يتحقق لنا انصاف ابن البيطار فيجب غض الطرف عن الأسس النظرية فى بعض الأمراض المذكورة وطرق علاجها، كما نتغاضى عن الأخطاء العلمية الواردة بسبب القصور العلمى الناتج عن السير المرحلى للعلوم وتقدمها التراكمى. ويكفى التركيز على الوصفات العلاجية التى قررها ابن البيطار، والاهتمام بها واعادة إخضاعها للدراسات وللمنهج التجريبى الحديث حتى يمكن الاستفادة من ذلك التراث العلمى، وحذار من الاستخفاف به أو إغماطه بدعوى أنه قائم على الظنون وعلى الدراسات النظرية، أو بسبب الجهل ببعض الأسماء والألفاظ والمصطلحات والتعبيرات التى كانت فى الماضى لغة علمية سليمة فلكل زمان لغته وتعبيراته العلمية، ومصطلحات العلوم تتغير بين عصر وعصر.

ولبيان المسار العلمى للكتاب وللايضاح نقدم شواهد من الكتاب فيمايلى :

---

(١) نقصد كتاب «الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية» لابن البيطار وهو مختصر كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» والذى قام بتحقيقه الدكتور أبو مصعب البدرى فى كتاب بعنوان «تحفة ابن البيطار فى العلاج بالأعشاب والنباتات».

أولا: مصادر التعرف واستكشاف الأدوية:

وقد جاء فى الكتاب : أعلم أيها المطلع الكريم أن الطب له ثلاثة أحوال :

١ ـ الحالة الأولى : التجربة.

٢ ـ الحالة الثانية : الإلهام.

٣ ـ الحالة الثالثة: المصادقة والاتفاق.

والنفس الفاضلة تنظر وتقول إن هذا الدواء فعل ذلك الفعل وحينئذ تأخذ فى التجربة، وتطلب كل يوم حيوانا فتعطيه الدواء الأول ثم الثانى وهكذا فإن أمثال هذه الحوادث تنبه الأذكياء إلى البحث والتنقيب حتى يركبوا أدوية كثيرة باجتهادهم... وإذا كانت الحيوانات التى لا عقول لها ألهمت مصالحها ومنافعها كان الإنسان المميز الذى هو أفضل من الحيوان أولى بذلك، وهذا أكبر حجة لمن يعتقد أن الطب إنما هو إلهام وهداية من الله لخلقه.

أجل، وليس كل الأدوية عرفت بقصد إلى معرفتها، بل أتفق من ذلك شيء كثير بالمصادقة والاتفاق، ثم جرب فتحقق، كما أن تناول دواء بغير قصد فأسهله أو سخنه ونفعه من مرض من الأمراض، فجرب بعد ذلك وامتحن مرات فوجد كذلك، فنسب إليه ذلك الفعل... ولعل بعض الأدوية قد عرفت من طريق الأمم السالفة، والدهور الماضية ـ وقد عرف بعض الأدوية من بعض الطيور والحيوانات التى الهمت أن تتداوى من أمراضها ببعض الأدوية فاستعملها الناس فتنفعهم»(١.هـ)(١).

(١) تحفة ابن البيطار فى العلاج بالأعشاب والنباتات ص ٢١ ـ ٢٤.

ثانياً: مدخل إلى علم العقاقير التجريبى:

جاء فى الكتاب[1] : «لما كانت الأدوية والأغذية مادة لحفظ صحة الإنسان (وميولاً) لمداواة اسقام الأبدان، كان من الواجب معرفة ماهيتها ومزاجها وقواها ومنافعها على الحقيقة والاستقصاء، لمعالجة كل نوع من الأمراض بالدواء اللائق للمداواة والعلاج... لما كانت طبائع الأمراض والأعضاء مختلفة لم تتم المداواة لكل مريض ولكل مرض ولكل عضو بدواء واحد معلوم. فإذا كان فى كل دواء من الأدوية قوى كثيرة مختلفة لا توافق المرض الواحد من جميع جهاته فيجب معرفة أدوية كثيرة مختلفة المزاج أو القوة نافعة من مرض واحد يختار منها المعالج الأليق بغرضه، والاصلح لقصده بحسب ما يراه من الاسباب الحاضرة.

وأعلم أن الشىء الوارد على بدن الإنسان إما أن يجعله البدن إلى ملازمته وهذا هو الغذاء المطلق، وإما أن يغير هو البدن ويقهره وهذا هو الدواء القاتل، وإما أن يغيره البدن - أولاً - ثم يعود هو فيغير البدن إلى مزاج كمزاجه وهذا هو الدواء المطلق. وإما أن يغير البدن - أولاً - ثم يعود البدن فيغيره آخر، وهذا هو الغذاء المداوى، فلما كانت قوة البدن أقوى من الغذاء قويت عليه واحالته إلى مشابهته. ولما كان الدواء القتال أقوى من البدن غيره وأفسده... والفرق بين الغذاء والدواء أن الغذاء يفعل فيه البدن أما الدواء يفعل هو فى البدن.

والتوصل إلى معرفة أمزجة الأدوية تكون بالتجربة... والتجربة يراعى فيها سبع شرائط حتى تقوم بواجبها فمن ذلك :

١ - أن يكون الدواء المجرب خالياً من كل كيفية مكتسبة فالسمك إذا كان باردا فإنه إذا ملح صار حارا.

---

(١) المرجع السابق ص ١٩ - ٢٠.

٢ ـ أن يجرب الدواء فى بدن الإنسان المعتدل فإذا أثر فيه أثرا من حرارة أو برودة أو يبوسه ينسب ذلك الفعل إلى ذلك الدواء.

٣ ـ أن يجرب الدواء فى علة مفردة كيلا يضلك ذلك، ولا يعلم لأى الأمرين نفع أو ضر.

٤ ـ أن يعتبر الدواء ويتفطن له هل منفعته من بعض الأمراض بالذات أو بالعرض؟ فإن (القومينا) وإن كانت حارة فإنها قد تبرد بالعرض بطريق أنها تستفرغ الخلط الصفراوى، الذى هو سبب السخونة والحرارة.

٥ ـ أن تكون قوة الدواء موازية لقوة المرض الذى يداوى به فربما كان الدواء مبردا ضعيف التبريد بالإضافة إلى علة شديدة الحرارة فلا يؤثر فيها ذلك الدواء أثرا بينا فيظن أنه ليس ببارد.

٦ ـ مراعاة الزمان الذى يظهر فيه تأثير الدواء، فربما أثر بعض الأدوية أثرين وكان أحدهما بعد الآخر فيكون الأول بالذات والآخر بالعرض، فيفطن لذلك.

٧ ـ أن يراعى استمرار فعل الدواء على الداء أو على الأكثر فإن لم يكن كذلك فصدور ذلك الفعل عنه بالعرض. (١.هـ)(١).

ثالثاً: تقنيات صيدلانية:

جاء فى الكتاب(٢) «أعلم أن كيفية استعمال الأدوية المفردة أو تدبيرها هو أول ما ينبغى أن يبدأ من ذلك بأن تختار الأدوية المفردة وتستجيدها ولا تستعمل منها إلا من أفضلها، ثم تتعهدها بأن لا يخالطها شىء غيرها... ويجب العناية بحفظها حتى لا

(١) تأمل ما ورد فى هذه الفقرة ولاحظ ما بها من معلومات قريبة جدا من المعارف الحديثة فى علم الأدوية التجريبى.
(٢) المرجع السابق ص ٢٥ ـ ٣٠.

تضيع قوتها وخصائصها التى جعلت لها وبذلك نضعف قواها وتنقص منافعها... والأدوية الطبية يجب حفظها فى أوانى فضية أو زجاجية ويحكم سدها.

والأدوية اليابسة من الحشائش والبذور والثمر وغير ذلك مما يحتاج فيه إلى الدق أو السحق، فينبغى أن تطحنها طحنا دقيقا مستخدما (رحا) [1] من أرحية الزعفران، فإن لم يكن لك رحا فدقها فى هون (حجارة المسن) إن أمكن وإلا فى هون نظيف مجلى، دقا ناعما ثم انخلها (بحريرة)، وأعد دقها ونخلها ثانية ثم أعدها إلى الهون واسحقها سحقا جيدا حتى تصير مثل (الغبار) فإن الأدوية إذا فعل بها هذا الفعل كانت أبلغ فيما يحتاج من المنفعة، وذلك أن كل ما كان سحقه أنعم كانت استحالته فى المعدة والكبد أسرع.

وعند استخدام الصموغ، ينظر أن كان فى ذلك الدواء شراب أو غيره من العصارات فينبغى أن تنقع الصموغ بالشراب أو العصارة حتى تنحل ثم يسحق فى الهون ناعما حتى تستوى اجزاؤه وأن كان بالدواء عسل يؤخذ لكل واحد من الأدوية المدقوقة ثلاثة أمثاله من العسل إن كان الزمان شتاء، ومثليه ونصف مثله إن كان الزمان صيفا... ويلقى بالعسل على الصموغ المحلولة بالشراب ويضرب حتى يستوى، ثم يذر عليه الأدوية المسحوقة ويضربه ويقلبه بآلة حتى تستوى، ويرفعها فى إناء من فضة أو آنية من صينى، ولا يملأ الإناء بل يكون ناقصا أربع أصابع فإن المعجون ربما غلا وارتفع فلا يكون له موضع يتنفس منه فيفسد... وينبغى أن يكشف الإناء فى كل قليل[2] ليخرج بخار الدواء ويتنفس إلى أن يسكن غليانه.

(١) الرحا هى التى يطحن بها وهى حجارة مستديرة يوضع احدها على الآخر ويدار الأعلى على قطب.
(٢) فى كل قليل : بين لحظة وأخرى.

كيفية عمل الأقراص :

وإذا أردت أن تعمل الدواء أقراصا فينبغى أن تلقى الدواء المسحوق فى الهون وتصب عليه من الماء أو الشراب أو غيره مما يحتاج أن يعجن به قليلا قليلا ويدق دقا جيدا حتى يلتئم ويستوى ويمكن أن يصلح منه أقراص، ثم تقرصها على قدر ما تحتاج إليه. ثم تجففها فى الظل وتمسحها إلى أن تجف جفافا جيدا... الخ.

كيفية عمل الأضمدة :

وأما الأضمدة المعمولة بالدهن والشمع فينبغى أن يلقى فى الشتاء على كل عشرة دراهم دهن وزن الدرهمين شمع، وفى الصيف وزن ثلاثة دراهم... الخ.

عمل السفوف :

السفوف المعمول من البذور المحمصة ينبغى أن تحمص فى قدر خزف جديدة أو فى مقلى حجارة وهو أن يسخن المقلى إسخانا جيدا وينزل عن النار ويلقى عليه البذور ويقلبها حتى تفوح رائحتها، وإياك أن تستقصى قلبها فإن ذلك مما يكسر قوتها... الخ.

الأدوية الحجرية :

أما الأدوية الحجرية كالكحل والمغنسيا وما شاكل ذلك فينبغى أن يحكم دقها، وتربى بالماء وتسحق سحقاً جيدا، ثم يخفف... [ويمكن] أن يصب عليه الماء ويسحق ويصفى قليلا قليلا فى إناء آخر، فيرقد بالجرى من الماء، ثم يلقى على ما بقى فى الهون ثانيا ماء صاف ويسحق ويصفى قليلا قليلا فى إناء آخر، يفعل بعد ذلك مرات حتى لا يبقى منه فى الهون شىء إلا مالا يسحق، ثم يغطى ذلك الإناء الذى فيه الماء والدواء حتى يصفو جيدا، ويرسب جوهر الدواء فى أسفل الإناء ويصفى عنه الماء ويجفف، ويستعمل فيما يحتاج إليه، وكذلك يفعل بكل دواء معدنى حجرى... (ا.هـ).

تعقيب:

مما سبق ذكره من الأمثلة عند التقنيات الصيدلانية فلاحظ التشابه الكبير بين (فن تجهيز الأدوية) كما ذكر ابن البيطار وما هو عليه الآن وذلك يدل على أنه كان يقوم بعمل الأدوية بتقنيات عالية : أنظر إلى طرق السحق، ومزج المفردات، وعمل المعاجين باستخدام الصموغ والأشربة، وانظر إلى طريقة تجهيز الأقراص (الحبوب) وهى تشابه الطرق التى كانت تدرس لطلبة الصيدلة فى الخمسينات فيما يعرف (بفن تجهيز الأدوية) (Dispensing) وأنظر عملية (الغربلة بالماء) التى كان يستخدمها ابن البيطار فى سحق الأدوية الحجرية وهى نفس الطريقة الحالية... وانظر إلى الدقة المتناهية فى تجهيز (القاعدة الدهنية) حتى أنه فرق فى طريقة تحضيرها شتاء وصيفا. وبالجملة فإن طرق تجهيز الأدوية الذى كان يتبعها ابن البيطار تكاد تكون هى نفسها المستعملة حاليا وذلك فى مجال (التجهيز الصيدلانى اليدوى) والذى يعرف (Dispensing) والفارق هو فى تقنيات الصيدلة الصناعية والتى ظهرت بعد اختراع الآلات وبلغت ذروتها منذ عقود قليلة.

علما بأن تجهيز الأدوية بالصيدلانيات حاليا مازال يجرى حسب التقنيات التقليدية والتى كان يطبقها ابن البيطار ويكفيه تعظيما وتقديرا وإبداعاً أنه كان يستخدمها منذ عدة قرون.

رابعا: الاحاطة وحسن التبويب والعرض الموضوعى:

ويظهر ذلك واضحا فى كثرة الموضوعات الواردة بالكتاب واتساع الحديث عن الأمراض وعلاجها، والترتيب الأبجدى للمفردات، ووضع الدراسات فى جداول متنوعة، فهناك جدول المرض والدواء، وهناك جدول الدواء وفائدته مرتب حسب اجزاء الجسم بدء (بالرأس)، يليه (العين ـ الأنف ـ الفم ـ الاسنان) ويأتى الترتيب

بعد ذلك كالآتى : اللسان ـ الأذن ـ الصدر ـ القلب ـ الشديان ـ المعدة (هضم الطعام ـ الفواق والعطس) ـ الكبد ـ الأمعاء ـ الطحال ـ الاستسقاء ـ الكلى والمثانة ـ أدوية إدرار الحيض ـ أدوية الأعضاء الطرفية ـ أدوية الجزام ـ أدوية داء الثعلب ـ أدوية وجع الظهر ـ أدوية الصفراء ـ الأدوية الملينة، تسهيل القيىء ـ أدوية قطع القيىء ... الخ.

وهناك جدوى آخر:

للمرض والعلاج، وهناك جدول لقاموس المفردات يشتمل على الدواء المفرد ومواصفاته ، وتأتى فيه المفردات مرتبة حسب الحروف الأبجدية... وقد جاءت الموضوعات بالكتاب بعبارات علمية واسلوب جميل وشرح يسهل فهمه: انظر إلى قوله «النبض رسول لا يكذب واعلم أن مقياس الحياة الصادقة هو «النبض» فالنبض رسول لا يكذب، ومناد أخرس لإخباره عن القلب الذى عليه تدار الحياة، النبض هو الرسول الذى يترجم عن القلب ويعبر عن القوة والضعف بأفصح بيان»[1].

ويقول عن (المعدة):

«واعلم أن المعدة حوض البدن فما ورد فيها من الأغذية الصحيحة صدر بصحة وما ورد فيها بعلة صدر بعلة... فصحة المعدة وجودة هضمها دليل على صحة البدن ومرضها وضعفها فى الهضم دليل على المرض... فعلامة المعدة الصحيحة أن الهضم فيها يحيل الغذاء لإثنى عشرة ساعة. وذلك أن الطعام المأكول النازل إلى المعدة ينهضم فيها لأربع ساعات، ثم يندفع إلى الأمعاء أولا فأولا ثم تهضمه الأمعاء هضما ثانيا أربع ساعات... ثم يندفع إلى الكبد أولا فأول، ثم يهضمه الكبد هضما ثالثا أربع ساعات ثم يندفع إلى العروق أولا فأولا حتى يصير الغذاء إلى جميع البدن اثنى عشرة ساعة متفرقاً ثم تحس الطبيعة بالجوع عند ذلك[2].

---

(١) المرجع السايق ص٣٩.
(٢) المرجع السابق ص ٦١ ، ٦٢ .

خامسا : مصطلحات والفاظ تحتاج إلى ايضاح :

من الأمور التى تقلل أحيانا من قيمة الدراسات العلمية التراثية ما يرد فيها من مصطلحات والفاظ توقف استعمالها فى اللغة العلمية المعاصرة. وكانت لدى علماء السلف لها معانى ومفاهيم، وأصبحت فى حاضرنا ليست صالحة للتعبير وليست مفهومة، وهذا واحد من عوامل الازدراء للتراث العلمى وما به من دراسات ومعلومات، فالجهل بمعانى المصطلحات والألفاظ يكون سببا فى عدم فهمها واحتقارها.

ونورد أمثلة لذلك فيما يلى :

- (جواوش) معناها خلطة مركبة من مجموعة مفردات دوائية وهى تقابل Formula فى اللغة الانجليزية.
- (السكنجبن) : هو مزيج من خل وعسل ثم اطلق على كل شراب مركب من حامض وحلو[1].
- (قولنج) : التهاب القولون.
- (القضافه) : وهى النحالة خلقه لاعن مرض أو هزال[2].
- (جوف الانسان) : بطنه.
- (احاله الغذاء) : هضمه وامتصاصه وتوزيعه على اجزاء الجسم[3].
- (يتمرط الشعر) : يسقط.
- (تكميد العضو) : تسخينه.
- (نفث الدم) : خروج الدم عن طريق الفم [4].

---

(١) المرجع السابق ص٢٨.
(٢) المرجع السابق ص ٤٢.
(٣) المرجع السابق ص ٦١.
(٤) المرجع السابق ص ٧٢.

- الجرم (بكسر الجيم) الجسد (جسد أى شىء).
- الشونيز : الحبة السوداء أو حبة البركة.
- ألبس فى المحل : أدخل فى فتحة الشرج على شكل لبوس.
- ساك الشىء : دلكه[١].
- علق عليه : وضع فى ماء ورفع على النار [٢].
- الداحس : هو التهاب حاد فى النسيج الخلوى المحيط بالأظافر[٣].
- تحليل الرياح : المقصود هو التخلص من الغازات المتولدة فى البطن وتسبب انتفاخا.
- حرق النار : مرض فيروس يتميز ببقع جلدية يصاحبها آلم كالآلم الحادث من حرق النار[٤].
- اليافوخ : مقدم الرأس وهو الموضع الذى لا يلتئم من الصبى إلا بعد مدة[٥].
- ذات الجنب : هو التهاب الغشاء البلورى المغلف للرئتين[٦].
- سويق الشعير : دقيق الشعير يحمص قليلا على النار.
- أدبل الجروح : أصلحها وأبرأها.
- اللقوة : الشلل الوجنى (يصيب الوجه).

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢.
(٢) المرجع السابق ص ١٠٤.
(٣) المرجع السابق ص ١١٤.
(٤) المرجع السابق ص ١٢٦.
(٥) المرجع السابق ص ١٢٩.
(٦) المرجع السابق ص ١٣٢.

- الطرفة : تجمع دموى فى ملتحمة العين.
- زلق المعدة : سوء الهضم [1].
- خشكار : كلمة فارسية تعنى الخبز الأسمر المصنوع من الطحين غير المستقص طحنه ولا نخله[2].
- فقاع : زهر النبات حين يتفتح.
- المبطونين : المصابين بداء البطن (الاسهال)[3].
- يعقل البطن : يمسكها.
- الشجوح : الجروح فى الوجه الرأس خاصة.
- الأسنان المتحركة : الأسنان المخلخله.
- الأكله : الحكه الشديدة من الحساسية.
- النملة : هى المرض الجلدى المعروف باسم الاكزيما [4].
- المطحولون : المرض بالطحال[5].
- السلمى : المشيمة [6].

(١) المرجع السابق ص ١٥٣.
(٢) المرجع السابق ص ١٧٣.
(٣) المرجع السابق ص ٢١٦.
(٤) المرجع السابق ص ٢٣٠.
(٥) المرجع السابق ص ٢٢٢.
(٦) المرجع السابق ص ٢٣٠.

المبحث الثانى

نصوص وتعليقات ومفردات دوائية (١)

إذا عقدنا مقارنة بين عصر ابن البيطار وبين الحاضر فى مجال المعارف الطبية والصيدلية والتقنيات نلاحظ وجود تباعد كبير وتفوق فى بعض الجوانب، كما نلاحظ وجود تقارب وتماس فى جوانب أخرى من أهمها العلاج بالعقاقير ذات المصادر الطبيعية وبصفة خاصة (الوصفات العشبية). ولهذا فإن المفردات الدوائية النباتية (وخلطاتها) الواردة بكتب التراث تمثل قيمة علمية، ومصدرا هاما للبحث والتحقيق والتطبيق، خاصة إذا قررها علماء عظام أمثال ابن البيطار، ومن هذا المنطلق الفكرى والعلمى جعلت المبحث الثانى (نقول وتعليقات) عن الأدوية وفوائدها كما جاءت فى الكتاب موضوع القراءة. وعمدت إلى ذكر النصوص والتعليق عليها حتى يكون ذلك بمثابة نموذج للأسلوب الذى يمكن اتباعه للنظر فيما جاء بالكتاب. وقد اكتفيت بذكر أمثلة وراعيت أن تكون متنوعة حتى يتحقق تنوع النظر والاستنباط فيما سجلته من التعليقات، مما يتيح اتساع الرؤية للنص أمام الباحثين والدارسين من العلماء المتخصصين الراغبين الاهتمام بتلك الزخيرة العلمية الذاتية لابن البيطار وأقرانه من عظام علماء الحضارة الإسلامية.

---

(١) نقصد كتاب «تحفة ابن البيطار فى العلاج بالأعشاب والنباتات» الذى حققه الدكتور أبو مصعب البدرى معتمدا على كتاب «الدرة البهية فى منافع الابدان الانسانية» لابن البيطار، وهو مختصر كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية».

ونستخرج الأمثلة من فصلين بالكتاب هما :

الفصل السابع : ص ٩١ إلى ص ١٤٩.

الفصل العاشر : ص ١٨٧ إلى ص ٢٤٠.

ولا أقصد من التعليقات بيانا وشرحا علميا ولكن القصد منها ارشاد الباحثين إلى بعض ما يمكن عمله للاستفادة من ذلك التراث العلمى.

القسم الأول : نصوص وتعليقات (١)

أولا : أدوية الرأس والدماغ (٢)

النص:

الدواء	فائدته
الأس	طبخه يجلو مجالة الرأس وقروحه الرطبه وبثوره، وعصارة ورق الأس فيه خاصية عظيمة فى تقوية الشعر وتسويده وتحسينه.
الانسيون	إذا استنشق بمسحوقه سكن الصداع البارد.
البرنوف	شم ورقه فى المنخرين ينفع من الزكام والبرد.
بذر القطونا	إذا خلط لعابه أو جرمه المشتمل على لعابه بدهن البنفسج وطلى به الدماغ برد حرارته ويسكن آلمه.
بذر الكتان	إذا عجن بالماء الحار بعد دقه أبرأ الصداع وسكن أوجاعه.

(١) الأمثلة من الفصل السابع.

(٢) ص ٩١، ٩٢.

الرجلة	إذا دقت مع السويق نفعت الصداع الحار.
الحلفا	إذا غسلت الرأس برمادها نقاها من القروح المزمنة.
الصبر	إذا خلط بخل ودهن ورد وطلى به الجبهة والصدغين سكن الصداع.
الفارس	إذا استعمل على الرأس يحسن الشعر ويقويه.
بذر حب الرشاد	إذا سحق وذر على قروح الرأس نفعها وأزال ما بها. وإذا غسل بما عصيره أو مطبوخه الرأس... منع تساقط الشعر.

التعليق :

لا يوجد فى النص الذى ذكرناه ما يرفض عقلياً أو يستبعد علمياً.. والمطلوب هو معرفة المفردات الدوائية على حقيقتها، والحصول عليها فى الظروف المناسبة من حيث الأجزاء النباتية المطلوبة، ومواعيد الحصول عليها، وحفظها الجيد، وتحضيرها بشكل صيدلانى لا يفقدها خواصها، كما أن المطلوب التأكد من (المفهوم المرضى) الذى قصده ابن البيطار لمعرفة الأمراض التى عالجها على وجه الصواب.

والمطلوب ـ كما قال ابن البيطار ـ معرفة أمزجة الأدوية ـ أى ـ (فوائدها) عن طريق التجربة... ويمكننا توسيع البحث عن الأغراض العلاجية للمفردات الدوائية وذلك من خلال توسيع الرؤية للأمراض على ضوء المعارف الطبية الحديثة.

ثانيا : أدوية الكبد والأمعاء والطحال (١)

النص :

الــــدواء	فـــــــائدته
ورق شجر الأثل	إذا طبخ مع أغصانه البيضاء بخل وشرب منه أربع أواق ونصف قوى الكبد ونفعه ولين أورامه وكذلك لو دهن به نفعه.
البابونج	ينفع وجع الكبد ويسكن الورم شراباً وضماداً.
عرق الجناح	يفتح سداد الكبد.
الهليون	يفتح سداد الكبد وينفعه.
الأبكر	ينفع وجع الأمعاء إذا مضغ منه مقدار ربع درهم.
بذر حب الرشاد	يحلل أورام الطحال.
الزعتر	إذا شرب بالخل وافق المطحولين.
بذر الفجل	إذا شرب بالخل حلل أورام الطحال.
	.... (١ . هـ)

التعليق :

نحن بهذا النص نقف أمام أمراض محسوسه ونتائج ملموسة، فتشخيصها السريرى (الاكلينيكى) كان ميسوراً لأمثال ابن البيطار من أطباء السلف العظام، كما أن النتائج العلاجية كان من السهل رصدها. لهذا نرى أهمية المفردات الطبية التى وردت بالنص والحاجة ماسة إلى دراستها والاستفادة بها.

(١) المرجع السابق ص ١٠٣.

ثالثا: أدوية الكلى والمثانة [1]

النص:

الـــدواء	فـــــــائدته
البابونج	إذا طبخ البـابونج واستـعمل شربـا كمدت المثـانة خصوصاً قبل تحجرها.
نوى التمر	إذا طبخ وشرب فتت الحصاة.
حلف البـر (الحلفـه السودانى ، الحرجل ، الدمسيسه)	يشـرب قبل الطعـام وقبل النوم... يزيل الحصوة بالتفتيت، وقد جربه الكثيرون فأفادت المثانة وتفتت الحصاة.
العناب	إذا أكل العناب بنفع من وجع الكلى والمثانة.
أغصان الفجل بلا ورق	إذا شـرب معـجونـاً بـالعسل نـفع من أوجـاع الكلى وفتت الحصاه المتولدة فيها.
لسان العصفور	يفتت الحصاه شرباً.
الهليون	ينفع الكلى ويدر البول ويخرج مـا بالمثانة من حصاة وخصوصـاً أصله وكذا بذره. وطبخ أصله مفرداً، أو مع عسل أو مع بذر البطيخ قوى فعله في الحصاه. .... (١.هـ)

(١) المرجع السابق ص ١٠٣.

التعليق :

يراعى التصنيف والتوصيف الطبى الدقيق عند دراسة العشب لمعرفة أثره العلاجى فمثلاً عند البحث فى تفتيت الحصوة يجب أولاً معرفة طبيعة الحصوة والتفرقة بين الأنواع المختلفة عند اجراء التجارب العلاجية... وهناك اصطلاحات يلزم معرفة مدلولها الطبى المعاصر مثل «كمد المثانة»، كما أن هناك كلمات وعبارات مرسله يجب ضبطها طبياً مثل «أوجاع الكلى».

وفى النص ما يفيد استبعاد بعض أجزاء العشب للابقاء على الجزء النافع كقوله (أغصان الفجل بلا ورق) حتى لا يخالطها شىء غيرها من العشب مما قد يذهب بقوتها.

ويدرك من النص أن النتائج العلاجية للأدوية كانت بناء عن علاج المرضى وما تحقق لهم من الشفاء، كما جاء فى قوله «وقد جربه كثيرون فأفادت المثانة وتفتت الحصاة» وهذا يعتبر آخر مراحل البحوث التجريبية للتأكد من فائدة الدواء، وفى ذلك ما يعطى للمعلومات الواردة بالنصوص قيمة وأهمية.

القسم الثانى : مفردات دوائية ومواصفاتها

يعتبر الفصل العاشر أهم فصول الكتاب، وهو بمثابة قاموس للمفردات الدوائية، وقد جاءت على شكل جداول يذكر فيها اسم العشب، وتذكر مواصفاته وهى عبارة عن جملة من المعلومات تشتمل على ذكر الجزء المستعمل من العشب ووصفه، وفوائده، وأحيانا نذكر أسماء العشب المرادفة، والأماكن التى يجلب منها وطريقة استعماله بجانب معلومات أخرى.

وجاء ترتيب الأعشاب بحسب الحروف الأبجدية لأسمائها المشهورة، ويشتمل

(القاموس الدوائى) علـى ما يقرب من ٣٢٠ مفردا دوائى تسـتخدم فى أغراض عـلاجية متنوعة ويتناول تقريبا جميع أجزاء الجسم مما يجـعله فى عصره موسوعـة علاجية كـان ابن البـيطار على درايـة بهـا وفى مـجـال دراسـاته وتجـاربه وممارسـاته الطبـيـة والصيدلانية.

ونذكر بعـضا من المفردات وفوائدها حـسب النص الوارد بالفصل العـاشر وذلك فيما يلى:

المفرد الطبى	فـــــائدته
	(حرف الألف)
اكليل السمك	زهر نبـات تبنى اللـون هلالى الشكل، ومـنه الأبيض، والأصـفر أجـوده، ويسـمى (ايقـيـفـون) . وهو مـحلل ومقوى للأعضـاء ، وورقة شبيه بورق السفرجل.
أسنان	وهو المعروف (بأبى جلسا أو الزرقا) الطفها الأبيض. وزن نصف درهم منه يحل عسر البول.
السن	وهو يونـانى وهو (حشـيشة اللجـاه) له شوك وزغب بزهر أحــمــر وبذر، تنفع مـن ضــعـف الكلـى والمعـدة وبثور الرأس.
أترج	الأترج معروف، والدهن المتخـذ من قشره قوى وورقة يسكن الـنفخ وقـشـره مـحلل وهو مـسـمن ويـنفع من السموم.
أبرق	هو مادة فـارسيـة تنفع أعضـاء الرأس، وجيدة لـلعقل والجسم.

أسد العدس	هو الهالوك المعروف بمصر وهو بارد مقبض.
	(حرف الباء)
بلسان	شجرة مصرية فى موضع مشهور وهو (عين شمس) وهو شبيه بالشذاب ودهنه أفضل من حبه، وحبه أقوى من عوده فى الوجوه كلها. ويؤخذ دهنه بالمشرط بعد طلوع (الشعيرى)، يعنى فى وقت معروف عند ظهور النجوم. وتتميز بكثرة خواصها : أنها تنفع الأحشاء العليلة وعرق النسا شربا، وعوده وحبه ينفعان وجع الجنبين والربو وضيق النفس والرئة والاحشاء وعدم الهضم ويقوى الكبد، ويقاوم السموم.
	(حرف التاء)
تافيا	وهو صمغ الشذاب البرى ولا ينتفع إلا بطريه وهو حار جدا محرق قوى الإسخان، ينبت الشعر وينفع من داء الثعلب جدا وقلما يوجد له نظير وينفع من نفث القيح (أى جروح الصديد من الفم) وعسر النفس ونافع من وجع الجنبين وخصوصا القديم من أوجاعها طلاء وضمادا.
	(حرف الثاء)
ثيل	هو النجيل، قصبه ذو عقد، وله فروع خمسة أو ستة وله زهر يميل إلى البياض طيب الرائحة... ينفع من

	قروح المثانة ويحلل الورم بإضافة الأدهان له ويفتت الحصى وينفع من الجراحات الرديئة ويلحمها ضمادا. ويمنع النوازل كلها، وبذره صالح للمعدة وشرب طبخه صالح للمغص وعسر البول.
	(حرف الجيم)
جمار	وهو المأخوذ من بطن النخل ينفع من خشونه الحلق ويمنع من الاسهال ينزف الدم وينفع من الحرارة والصفراء، ويصلحه ويزيد فى فائدته مربى الزنجبيل.
جبلاهنك	يقولون إنه هو بذر (التربه) الأسود وقشور أصله هو الزبد الأصفر وينبت فى (صفد) وينبت فى الهند، والهندى أجود من الصفدى ويقال أنه إذا سقى المفلوج منه مقدار درهمين يعافى. وقد نبه عنه ابن سينا فى قانونه بأنه مقيىء قاتل وهو على كل حال خطير جدا لأنه يشتمل على قوة سمية فلا يصح استعماله بالمره وأمره راجع إلى الطبيب الحاذق.
جلنار	هو زهرة الرمان البرى الفارسى أو المصرى وهو ذات لونين أحمر وأبيض أو موردا، تدبيره أنه حابس لكل سيلان، ويولد السوداء وينفع اللثة الدامية ويدمل الجراحات والقروح القديمة والعقور (الجروح الملتهبة عن فعل الحيوانات) وذلك بأن يذر عليها من

	مسحوقه، ويقوى الاسنان المتحركة، ولا يعادله دواء فى منع نفث الدم.
	(حرف الحاء)
حرمل	هو نبات ورقة كورق الصفصاف له زهر أبيض، وبذر أسود، وهو يلطف آلات المفاصل طلاً، ويدر البول والطمث بقوته شرابا وطلاء، ويحلل الرياح وعرق النسا وينفع من القولنج والربو ويهيج الباه بالسكر والعسل النحل المنزوع الرغوة.
حنظل	الجيد منه الأبيض اللين... وورقة يقطع نزف الدم، وهو نافع لأوجاع العصب والمفاصل وعرق النسا والنقرس ويسهل البلغم الغليظ، المجتنى منه الأخضر يسهل بإفراط ويقيىء بإفراط، ويجب الاحتراز من تناول الكثير منه إلا بمقدار معقول. وهو أنفع من الأدوية للدغ العقرب.
	(حرف الخاء)
خبازى	هو فرع من الملوخية فيه الانهضام، وزهرة نافع لقروح الكلى والمثانة شرابا.
خوخ	يقطر من ماء ورقة فى الأذن فيقتل الديدان، ويضمد به السرة أيضا ويزيد فى الباه.
خس	هى نبات معروف ومن الخضروات المشهورة، ينفع من الأورام وينوم ويزيل السهر مسلوقا ونيئا نافع

	من العطش وحرارة المعدة والتهابها، ويذره يجفف المنى ويسكن شهوة الجماع.
	(حرف الدال)
دلب	نبات ينفع ورقة من أورام المفاصل والركبتين وهو سم للخنافس تموت من ورقه ومن قشره.
دهمست	هو شجر «الغار» وحبه يستعمل وورقه، والحب أقوى مافيه ثم قشور الأصل. وهو جيد لاسترخاء العصب والفالج ومسحوقه يعطس وينفع من أورام الكبد والطحال وينفع من القولينج.
دوسر	حشيشة يشبه ورقها ورق الحنطة لكنه الين وله ثمرة لها حجابان أو ثلاثة وعليها شبه شعر وقد يتخذ منه عصارة فيها تجفيف وتحليل ويذهب بداء الثعلب.
دهن الفارجيل	هو أقوى دهان لتحليل الريح ودهان البواسير والمفاصل.
	(حرف الذال)
ذنب الخيل	هو نبات ينبت فى الحفائر والخنادق له قضبان مجوفة يسيل لونه للحمرة ويتولد منه أطراف كثيرة كذنب الخيل، وله أصل صلب ـ نافع جدا لنزف الدم ويدمل الجروح والقروح اندمالا عجيبا.

	(حرف الراء)
راوند	نبات يرد من (سرنديب الهندية) ومن الصين وهو الأجود ولونه أحمر يضرب إلى الصفرة ومنه (راوند الدواب) وهو قطع خشب له قتمة وكثافة ـ ينفع من الاستسقاء ومن اليرقان، ومدر للبول والصفراء ومقوى ومطهر وهاضم ومنبه ومساعد لطهارة الجهاز الهضمى، مضر لمن عنده الحصى، وإذا مزج بالصبر نقى الدماغ من جميع أنواع الدوار شربا وسقوطا، وينفع من الكلف ومن الآثار الباقية على الجلود إذا طلى بالخل. وهو نافع جدا للكبد والمعدة وضعفها وأوجاعها، وينفع من المغص والدوسنتاريا ووجع المثانة ونزف الدم.
رجل الغراب	هو حشيشة معروفة إذا طبخت نفعت من الاسهال المزمن.
رعى الإبل	هو نبات فى الصحراء ترعاه الإبل ـ إذا راعته لا يضرها. تسمم الحيات والهوام لأن هذا النبات يحتوى على مادة الترياق، وتقى عصارته لنهش الهوام.
	(حرف الزاى)
زنجبيل الكلاب	هى بقلة معروفة ويقال له فلفل الماء، وورقة كورق الخلاف، إلا أنه أشد صفرة وقضبانها حمر له طعم

	الزنجبيل «يقتل الكلاب». طريه مدقوقا مع بذره يجلو الكلف والنمش العتيق، ويحلل الاورام الصلبة إذا دق مع بذره وضمد.
	(حرف السين)
سفرجل	معروف، ويحفظ الأجنة فى بطون الأمهات ينفع من النقرس والرعشة والصداع والفالج شربا وأكلا.
	(حرف الشين)
شبت	هو نبات معروف مسكن للأوجاع ومنوم وينفع من المغص.
	(حرف الصاد)
	أنظر ص ٢٢٠ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف الضاد)
	أنظر ص ٢٢١ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف الظاء)
	أنظر ص ٢٢١ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف العين)
عاقر قرحا	هو البابونج ينفع من الاسترخاء (آفة تعرض للعصب الذى يتفرع من الدماغ أو فقرات العنق) وينفع من الصداع وضعف الباه، إذا طبخ برطل ماء حتى يبقى سدسه، ويطبخ بالزيت كالدهان، وهو مغربى وأكثر ما يكون بأفريقيا وله زهر أصفر

	كالبابونج.
عود	هو نبات صينى يجلب من جزائر الهند والصين وبلاد العرب، وأجوده الأسود الثقيل المر البراق الطيب الرائحة، وهو يقوى الأعصاب دهانا وينفع الدماغ جدا ويقوى الحواس ويقوى القلب ويفرحه.
عنب الثعلب	ويعرف بعنب الديب والاصلى منه ورقه كورق الريحان ولونه يضرب إلى الصفرة وثمره كذلك مع حمره ومنه جبلى مزغب وزهره أحمر وورقة كورق التفاح وله ثمر كثمر الزيتون، ينفع الأمراض البارده وبالملح يحل الورم ويذهب السرطان دهانا وأعلم أن عنب الثعلب أصنافا كثيرة جدا ويجب الحرص من استعمال غير المعروف منه لأنه خطر جدا وانظره فى المطولات.
	(حرف الغين)
	أنظر ص ٢٢٦ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف الفاء)
	أنظر ص ٢٢٢ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف القاف)
	أنظر ص ٢٢٨ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف الكاف)
	أنظر ص ٢٣٠ بالكتاب موضوع القراءة.

	(حرف اللام)
	أنظر ص ٢٣٣ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف الميم)
	أنظر ص ٢٣٦ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف النون)
	أنظر ص ٢٣٨ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف الهاء)
هـــــرد	هو الكركم، نبات يؤتى به من بلاد الهند، وهو نوع عشبى، لون سيقانه صفراء، وهو الذى يسحق ويستعمل وهو عطرى، ويسمى نباته (بقلة الخطاطيف) يحد البصر ويجفف القروح.
	(حرف الواو)
	أنظر ص ٢٣٩ بالكتاب موضوع القراءة.
	(حرف الياء)
	أنظر ص ٢٤٠ بالكتاب موضوع القراءة.

الاستنباط :

مما سبق ذكره بالقسم الثانى من المفردات الدوائية ومواصفاتها نقدم الاستنباطات التالية :

(١) يقول ابن البيطار عند حديثه عن (البلسان) : يؤخذ دهنه بالمشرط بعد طلوع الشعرى... وبهذا يلفت النظر فى جميع الأدوية من مصادرها النباتية إلى وقت يرتبط بطلوع النجوم وذلك بالإضافة إلى الأوقات المألوفة وهى : فصول السنة، والشهور، وأوقات النهار والليل، والمطلوب دراسة ذلك التوقيت وعلاقته بمحتويات الدواء وفوائده.

(٢) يفاضل ابن البيطار بين قوى وفوائد اجزاء النبات عند الحديث عن دواء (دهمست) يقول «وحبه يستعمل وورقه، والحب أقوى مافيه»... كما أنه يربط فاعلية النبات ببعض صفاته فيقول عن (الحنظل) : «الجيد منه الأبيض اللين» وهذه الملاحظات تدل على دقته فى الدراسة والوصف.

(٣) يلاحظ أن ابن البيطار يؤكد على فوائد بعض الأدوية ويحذر من بعضها بعبارات توحى بأنه كان يتابع أثر الدواء على المريض ويتحقق من النتائج العلاجية فمثلا نجده فى الحديث عن (الجلنار) يقول «ولا يعادله دواء فى منع نفث الدم» وعند الحديث عن (التافيا) يقول «وينفع من داء الثعلب جدا وقلما يوجد له نظير» وعند الحديث عن (الجيلاهنك) يقول مخذرا» وهو على كل حال خطر جدا لأنه يشتمل على قوة سمية، فلا يصح استعماله بالمره وأمره راجع إلى الطبيب الحاذق». وبهذا يتأكد لنا أن ابن البيطار كان يتابع الآثار العلاجية للأدوية ، ويحققها ، ولهذا تكون

المعلومات عن الأدوية التى تركها لنا ذات مردود علمى فهى حصيلة دراسات وتجارب وتطبيقات وممارسات وخبرات، وعلينا أن ننظر إليه بجدية واهتمام باعتبارها معلومات طبية ذات قيمة.

(٤) يلاحظ أن ابن البيطار أحيانا يحرص على ذكر بعض أسماء الأدوية المرادفة للأسماء المعتمدة عنده، وعند دراسة الأدويه، يحتاج الأمر إلى التأكد من مطابقة المترادفات للاسم المعتمد، وعند اختلاف الترادف يحتاج الأمر إلى الترجيح بين هذه الأسماء، والتأكد من الدواء الذى يعنيه بهذا الاسم الراجح حتى لانخطىء فى اختيار الدواء المقصود ويقع الاختيار على دواء آخر فتكون الدراسات غير سليمة والنتائج خاطئة عندئذ يقع اللوم على ابن البيطار ومعلومات وفي ذلك تجنى وظلم له.

(٥) **ومن المترادفات:**

- (اشنان) وهو المعروف بابى جاسا أو الزرفا
- (جيلاهنك) يقولون أنه بذر (التربد)...
- (دهمست) هو شجر الغار.
- (زنجبيل الكلاب) ويقال له فلفل الماء...

(٦) يلاحظ وجود مصطلاحات طبيه مطلقة أو مبهمه وهذه تحتاج إلى المعرفة الصحيحة حسب المفاهيم الطبية الحديثة ومثال ذلك : ضعف الكلى - محلل للاورام تنفع أعضاء الرأس - يقوى الكبد - وجع الجنين - جيده للعقل والجسم - ويمنع النوازل كلها - ويحلل الرياح - ويقوى القلب -

ويقوى الحواس ـ ويفرح القلب...... الخ.

كما توجد مصطلحات طبيه ذات مفهوم واضح وسليم ولكن الأمر فى حاجة إلى التصنيف المرضى ومثال ذلك :

عسر النفس ـ عسر تالبرل ـ يقطع نزف الدم ـ نافع لعرق النسا ـ نافع لقروح المثانة ـ يقطر من ماء ورقة فى الاذن فيقتل الديدان ـ يقوم ويزيل السهر ـ يذهب بداء الثعلب ـ يدمل الجروح والقروح ـ فينفع من الدوسنتاريا ـ فتنفع من الاسهال ـ يحلل الأورام الصلبه ـ يفتت الحصى فى الكلى والمثانة.... الخ.

(٧) مما يوحى بالامانة العلمية لابن البيطار هو أنه يلجأ إلى استخدام كلمات الظن والشك مثل قوله ـ ويقال ـ ويقولون.

وفى ذلك أشارة منه إلى أن تلك المعلومات وصلته سماعا ولم يتأكد منها وهنا يلزم على الباحثين النظر إلى تلك المعلومات بشىء من الحيطة واعتبارها غير منسوبه إلى ابن البيطار وليس على مسئوليته، ولكنه ينقلها عن غيره سماعا.

(٨) يقول ابن البيطار عند الحديث عن بعض المفردات الطبية «وانظره فى المطولات» وتفيد هذه العبارة أن كتاب «الدرة البهية فى منافع الابدان الانسانية» لابن البيطار هو بمثابة مختصر يرجع إليه للمطالعة السريعة، ولا يغنى عن الكتب المطولة لابن البيطار مثل «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» والمطلوب من الباحثين أن لا يكتفوا بالاطلاع على المؤلفات المطولة، وذلك إذا ما أرادوا الاجادة والاستفادة من أعمال هذا العالم الجليل.

خامساً :

بتأصيل المصريين القدماء إلى ما قبل تاريخ الأسر وإلى ما يعرف بالعصور الفرعونية، وبردهم إلى جنسهم العربى كما ذكرنا من قبل، وبالنظر فى تلك الحضارة المصرية القديمة، نستطيع التأكيد على أن الجنس العربى يتمتع بقدرات فائقة فى التأمل والنظر والتفكير والبحث والابتكار والتصميم، وشاهدنا على ذلك كما ذكرنا تلك الحضارة الرائعة متعددة الجوانب والتى أقاموها فهى تدل بما لايدع مجالا للشك على أن الجنس العربى له ملكات عقلية متفوقة ومواهب متعددة وطاقات فكرية تتسم بالإبداع والريادة، كما أنه جنس يتصف بالشجاعة والاقدام والتصور والخيال... وكل ما ذكرناه من المزايا تشكل عناصر أساسية لقيام الحضارة... وهنا يطرح تساؤل مقرونا بالجدل، وهو : إذا كان الجنس العربى كما ذكرنا فلماذا لم يقم حضارة بموطنه الأصلى، وهو الجزيرة العربية بعامة وجنوبها الغربى بخاصة... ولماذا ظهرت حضارتهم خارج وطنهم الأم وبالتحديد على ضفاف وادى النيل ما بين (النوبة) جنوبا ، (ودلتا مصر) شمالا؟ والجواب المنطقى الذى يتمشى مع الظواهر وسنن الفطرة والقوانين الاجتماعية هو : أن عطاء الإنسان تحكمه عوامل ثلاثة رئيسية: قدراته الذاتية، والبيئة الطبيعية التى يسكنها، والمناخ الاجتماعى الذى يحيط به بايجابياته وسلبياته... ولا يخفى أن الوطن الأم للجنس العربى كان يفتقد البيئة الطبيعية المريحة ورخائها كما كان يفتقد الاستقرار الاجتماعى والأمن فتعطلت قدرات الجنس العربى الحضارية، وعندما هاجر إلى ضفاف النيل وإلى أرض الوادى المنبسطة والعامرة بالخيرات تعانقت عبقريته الذاتية مع عبقرية المكان تحت ظلال الأمن والاستقرار وعندئذ استيقظت قدراته وانطلقت إلى ساحه الحياة لتقيم واحدة من أعظم الحضارات.

والجنس العربى مازال يعيش هذه الظاهرة، ظاهرة العطاء خارج وطنه عندما يتيسر له الرخاء والأمان وكأن الغربة وترك الأوطان تحرك هممه وتقوى عزائمه وتفجر قدراته، فيزيد عطاؤه، ويظهر ابداعه وابتكاراته... فهو ينتج فى مهجره أكثر مما ينتج فى موطنه، وذلك يتمشى مع ما جبل عليه الانسان العربى من مروءه جود وايثار وشجاعة وهذه صفات تلازمه فى غربته وتنعكس على فكرة وعمله... وهذا ما يمكن رصده فى الجنس العربى أفراد وجماعات فى كل العصور وحتى وقتنا هذا عند الهجرة إلى أية بقعة من بقاع العالم.

سادساً:

كان للإسلام عقيدة وسلوكا دور هام فى قيام الحضارة الإسلامية، وظهور مشاهير العلماء المسلمين وذلك من خلال منهاج الحياة الذى وضعه للمسلمين والذى يتصف بالجدية والتمسك بالقيم، ومراعاة الحلال والحرام، وحب العلم والتعمير، والحرص على الاتقان والاخلاص لله سبحانه وتعالى فى الاعمال والتوجه إلى النافع من الأمور، وتجنب اللهو والعبث وسفاسف الأمور... كما أنه منهاج يدعوا إلى النظر والتأمل والبحث والتدقيق، والتحقيق والترجيح، والجرح والتعديل، وكلها سلوكيات فكرية حرص عليها المسلمون الصادقون، وتمسك بها العلماء المسلمون كمنهاج عمل وهم الذين صحت عقيدتهم وخلص إيمانهم ليتساوى فى ذلك علماء الشريعة والدين، وعلماء الفطرة والكونيات... وبهذا قامت الحضارة الإسلامية على أرض الواقع وعلى مدى ما يزيد على سبعة قرون شرقا وغربا وترعرعت فى ظل اخلاقيات العلم والقيم والمبادىء طاعة لله وقربى إليه سبحانه فهى بحق حضارة اخلاقية إيمانية... نابعة من توجيهات القرآن الكريم وهدى نبى الإسلام ورسوله سيدنا محمد عليه أفضل

الصلاة والسلام... وبهذا فإن المسلمين يدفعهم إلى العمل والعطاء والاجادة والابتكار انتماؤهم الدينى أكثر من أى انتماء آخر وإذا كان ذلك كذلك فعلينا أن نهيىء الظروف المناسبة لهذا الانتماء وأن نرعاه وندعمه ونقويه.

أما إذا كان انتماؤهم قوميا أو وطنيا أو عنصريا وعرقيا أو كان انتماؤهم حباً فى الدنيا والعلم للعلم كما يقال والعمل من أجل الرخاء والتلذذ بالحياة... فمصيرهم إلى السقوط والضعف وانهيار حضارتهم... وتآمر الأمم عليهم، والسيطرة على أوطانهم وهذا ما حدث للأمة الإسلامية فى كل بقاع الدنيا، وهذا ما هى عليه الأمة، وما ستكون عليه وأسوأ إذا لم تأخذ الدروس والعبر، وتدرك الحقيقة وتعيها جيدا وهى أنه لا عز للمسلمين إلا بالإسلام وأنهم لا يعلون بكل الامكانات إلا من خلال الانتماء الدينى وأن ما أصابهم من سوء الحال هو بسبب التفريط فى هذا الانتماء.

وفى الختام أرجو من القراء الكرام الصفح عن التقصير وتصويب الخطأ وتقديم النصيحة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد... واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... والصلاة والسلام على أمام الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور/ أبو الوفا عبد الآخر

٥ / ١ / ١٤٢٠هـ

٢١ / ٤ / ١٩٩٩م

والمصـــــادر

(١) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأبناء فى طبقات الأطباء.

(٢) الدوميبلى ، العلم عند العرب وأثره فى تطوير العلم العالمى.

(٣) ايد سنجر ، علم الإغريق والعلم الحديث.

(٤) اسامة خلف حمارنة ، تاريخ الصيدلة والطب.

(٥) أبو الوفا عبد الآخر ، اعداد الباحث المبتكر (مخطوط).

(٦) أنور الرفاعى ، الإسلام فى حضارته ونظمه.

(٧) اسامة عانوتى ، ودائع من التراث العربى.

(٨) جورج سارتون ، المدخل إلى تاريخ العلوم.

(٩) جورج شحاته قنواتى ، تاريخ الصيدلة والعقاقير.

(١٠) جلال مظهر ، أثر العرب فى الحضارة الاوربية.

(١١) جابر الشكرى ، الكيمياء عند العرب.

(١٢) زيغريد هونكه ، شمس الله تشرق على الغرب.

(١٣) سيد حسين نصر ، العلوم والحضارة فى الإسلام.

(١٤) رام لاندو ، مآثر العرب فى النهضة الغربية.

(١٥) عبد العظيم حفنى ، موجز تاريخ الصيدلة.

(١٦) عز الدين فراج ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الغربية.

(١٧) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى.

(١٨) على عبدالله الدفاع، اسهام علماء العرب والمسلمين فى الصيدلة.

(١٩) محمد عبد الرحمن مرحبا، الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب.

(٢٠) محمد عزة دروزه، عروبة مصر فى التاريخ.

(٢١) عبد الفتاح الغنيمى، عروبة مصر قبل الإسلام.

(٢٢) أبو الوفا عبد الآخر، يحيى ناصر، «الطب النبوى نظام علاجى متكامل» بحث مقدم إلى المؤتمر العالمى للطب الإسلامى المنعقد بأندونسيا ١٩٩٤م.

(٢٣) أبو الحجاج حافظ، الصيدلة عربية مصرية ـ الناشر، مؤسسة آمون.

(٢٤) أبو مصعب البدرى، ابن البيطار فى العلاج بالأعشاب ـ الناشر، دار الفضيلة.

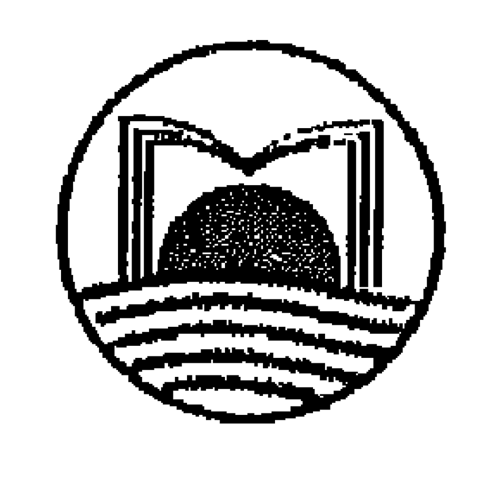
فهرست المحتويات

الفصل الثالث

قراءة فى كتاب «تحفة ابن البيطار فى العلاج بالاعشاب والنباتات»

الطبعة الأولى
٢٠٠٧م

رقم الإيداع
٤١٨١ / ٢٠٠٧



مطبعة بحر العلوم
ت : ٠١٤٤٠١٧٤٤

مؤلفات الباحث الإسلامى

الدكتور/ أبو الوفا عبد الآخر

- الصيدلية الإسلامية والدواء الخالى من النجاسات
- الطب النبوى منهاج للعلاج المتكامل
- تقليم الاظافر على ضوء السنة النبوية وعلم الطب
- نقل الأعضاء على ضوء الشريعة والطب والواقع
- القرآن المعجزة (مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم)
- المختار من علوم القرآن
- التآمر على التاريخ الإسلامى
- الإسلام دين الحق والعدل والحضارة والسلام
- العالمية الدينية الإسلامية
- العلاج بالاعشاب
- ابن البيطار ودوره فى الحضارة الإسلامية
- الطب القرآنى العاقل
- دراسة حول أسباب الأسراء
- القول الحكيم على من خالف وأنكر هدى سيد المرسلين:
  فى الحجاب والختان
- مقالات صحفية فى التنوير الإسلامى
- مواقف حاسمة فى سيرة الدعوة الإسلامية — تحت الط
- مواقف حاسمة فى السيرة النبوية — تحت الط
- القلب القرآنى — تحت الطبع

ndrina
x.
092
9a
0616101